وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية.
شعبة: التاريخ.

علاقة الحفصيين بممالك إفريقيا "مملكة كانم أنموذجا" (ق06-10هـ/12-16م)

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبة:
- فتيحة رغيس.

إشراف الأستاذ:
- د. العمري عبد النور.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د. حمزة حاجي	محاضر "ب"	رئيسا.
د. عبد النور العمري.	محاضر "أ"	مشرفا ومقررا.
د. عبد الصمد حمزة	محاضر "أ"	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019- 2020م.



شكر وتقدير:

أشكر الله العلي القدير الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل راجية منه سبحانه وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا والآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الدكتور العمري عبد النور الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وكان لي عونا ومرجعا ولم يبخل علي بتوجيهاته القيمة.

اشكر أيضا أساتذتي بقسم العلوم الإنسانية شعبة تاريخ بجامعة المدية، على ما قدموه لي من علم ومعرفة طيلة مشواري الدراسي الجامعي.

أيضا أتقدم إلى كل من ساعدني و وقف إلى جانبي من قريب أو بعيد، العائلة الكريمة، صديقاتي، زملائي الطلبة، وعمال مكتبة قسم التاريخ بجامعتي المدية وتلمسان على التسهيلات التي منحوني إياها.

إهداء:

اهدي عملي هذا إلى:

عائلتي الكريمة: أبي الحبيب وأمي الحنونة أطال الله في عمرهما وزادهما صحة وعافية، وإخوتي وأخواتي حفظهم الله من كل سوء.

أيضا إلى أقاربي وأساتذتي وزميلاتي وصديقاتي وكل من اعرفهم عن قريب وبعيد، والى كل من ساعدني في انجاز هذا العمل ولو بالشيء القليل.

الرمز	العبارة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ج	الجزء
د ب	دون بلد
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	الميلادي
مج	المجلد
هـ	الهجري

مقدمة

1- أهمية الموضوع:

انبثقت الدولة الحفصية من أحدى القبائل البربرية العريقة فكانوا وجهاء في قومهم وملوكا وسادة، والأوائل القائمين على حركة المهدي بن تومرت داعية الموحدين، فكانت كلمة الموحدين تطلق على سلاطين الحفصيين، وكان بإنشاء هذه الدولة شرق المغرب الإسلامي أن علا شأن الحفصيين في المشرق والمغرب، ودام سلطانهم أكثر من ثلاثة قرون ونصف ما بين القرن 06هـ -12م و 10هـ/16م.

كما كان امتدادهم في المكان من غرب بجاية إلى بسكرة وما جاورها، ثم منطقة الأوراس وقسنطينة وعنابة .. وتونس الحالية، وتبتدئ الدولة الحفصية منذ تعيين أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص واليا على تونس سنة 603هـ وتنتهي نهائيا سنة 981هـ بعد دخول الأتراك، وبذلك ينتهي عهد مليء بأحداث الكبرى في السياسة والأدب بين إزدهار وذبول وقوة وضعف، وبين انتشار وانحسار في فترة عهد الدولة الحفصية التي شهدت في عصر السلطان المستنصر الحفصي عصرا ذهبيا وتوطيد أركانها على المستوى الخارجي والداخلي تطورات خطيرة بالغة الصعوبة.

وكان للدولة الحفصية أثر كبير في مجريات الأمور، فكانت لها عدة علاقات مع مختلف الدول والممالك وبالأخص مماليك إفريقيا ك"الكانم" سواء على الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي، فكانت فترتهم من أبرز الفترات في تاريخ صلات وروابط التي طبعت بصمتها سجل تطورات ثقافية واقتصادية وسياسية بين الدولتين "الحفصية والكانمية".

2- أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي جذبتني إلى دراسة الموضوع هي:

- نقص الدراسات التي تتناول تاريخ الممالك الإفريقية وعلاقتها بمنطقة بلاد المغرب الإسلامي.

- شغفي للبحث عن طريقة انتشار الإسلام في هذه الممالك الإفريقية جنوب الصحراء، والتي لم تشهد فتوحات كالتي شهدها بلاد المغرب أو الأندلس أو مناطق واسعة من أسيا.

- معرفة أسباب انتشار اللغة العربية في قلب افريقيا والتي كانت تتكلم قبائلها لهجات افريقية .قديمة

3- إشكالية الموضوع:

عرفت تلك الفترة استقرارا سياسيا وتطورا إقتصاديا وثقافيا، الأمر الذي دفع بسلاطين الدولة الحفصية إلى التطلع لأماكن بعيدة وغريبة عنهم في سبيل نشر ثقافتم العربية الإسلامية وتشجيع التجار لتسويق منتجات الدولة وإستراد مواد وسلع ثمينة مقابل ذلك ومن هنا يمكننا طرح هذه التساؤلات :

لأي مدى ساهمت هذه العلاقة في تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية؟. وكيف ساهم الموقع الجغرافي في بروز هذه العلاقة؟.

- كيف كان أثر العلماء المغرب الأدنى في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي؟.

- ما هي الطرق والأساليب التي مكنت التاجر المغربي من وصوله لأسواق ومدن مماليك إفريقيا؟.

4- المناهج المستعملة:

إعتمدت على المنهج التاريخي وأيضا المنهج الوصفي من أجل توظيف وتركيب المعلومات الخاصة بالموضوع. وفي بعض الأحيان المنهج السردي لسرد بعض الأحداث التاريخية. والتحليلي في بعض المواضع التي استلزمت تحليلا وإعطاء استنتاجات.

5- خطة العمل:

وللإجابة على تلك التساؤلات قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وقسمت كل مبحث إلى ثلاثة مطالب.

- خصصنا المبحث الأول لدراسة تاريخ وجغرافية الدولة الحفصية والكانمية، وتحدثنا عن أصول العلاقات الحفصية الكانمية وتطوراتها.

- أما المبحث الثاني، فعالجنا فيه نماذج للعلاقات الحفصية مع مملكة الكانم، وركزنا على الجانب السياسي والاقتصادي والثقافي والعقائدي .

- أما بالنسبة للمبحث الثالث ،لدراسة أثر العلاقات الحفصية مع مملكة كانم في القارة الإفريقية وعلاقتها بالأقطار الأخرى ،ثم تحدثنا عن انتشار الإسلام في إفريقيا ،و مدن السودان الغربي .

- وختمنا البحث بخاتمة وهي إستنتاج عام وإجابة عن التساؤلات، وأرفقنا العمل بملاحق متنوعة.

6- مصادر ومراجع الدراسة:

فرضت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع والرسائل الجامعية التي تتكلم بصفة عامة عن الموضوع ومنها: كتاب "ترجمان العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لـ عبد الرحمان بن خلدون، وتكمن أهمية في أن هذا المصدر قد عاصر الأحداث في المغرب والمشرق.

"صبع الأعشى في صناعة الأعشى" لأبي علي القلقشندي، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة ومن أهم من كتب عن تاريخ مصر خلال عصر المماليك، وأن كاتبه اشغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة ما مكنه

من الإطلاع على الوثائق الرسمية والمراسلات المملوكية التي قام بتوثيقها في موسوعته، كما سجل لنا مواقع المدن والبلدان والممالك الإسلامية وأحوالها للعامة بما فيه الثقافية والعلمية .

"نزهة المشتاق في إختراق الأفاق" للإدريسي محمد بن عبد الله السبتي، وتكمن أهمية الكتاب كونه من مؤلفات القرن السادس الهجري وهي إطار فترة الدراسة، بالإضافة إلى ميزة أخرى وهي إلتزام المؤلف بوصف المناطق بشيء من الدقة والتفصيل في جميع المجالات المتعلقة بهان فهو يصف البلاد والأرض في خالقها وبنائها وأماكنها وبحارها وجبالها ومسافاتها وعملها، وأجناس نباتها، والاستعمالات التي تستعمل بها، والصناعات التي تتقن بها، والتجارب التي تجلب منها، والعجائب التي تذكر عنها، مع ذكر أحوال أهلها و هيئاتهم ومللهم ومذاهبهم و زيهم وملابسهم، فقد مثل كتاب النزهة تقريرا مفصلا بعض التنقلات لشخصية الإدريسي.

كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب والمعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الذي يعد كتابه من المصادر الجغرافية، والسلع الصادرة والواردة والأسعار والمكاييل والموازين، كما وصف لنا المدن المغربية و مدن السودان الغربي وصف دقيقا .

أيضا كتاب الرحلة المسماة "تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لصاحبه محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بإبن بطوطة والملقب بشمس الدين (779/704هـ /1377/1304م) وقد سجل فيه صاحبه مشاهداته أثناء رحلته عبر عدد كبير من أقاليم المشرق والمغرب الإسلاميين ومماليك بلاد السودان الغربي خلال القرن الثامن الهجري (14م). وقد استغرقت رحلاته الثلاث كلها زهاء تسع وعشرين سنة أطولها السفرة الأولى التي لم يترك فيها ناحية من نواحي المغرب والمشرق، وقد جاءنا هذا المصدر بأهم المعاملات في الأسواق وعن السلع المتوفرة من صادرات و واردات.

كذلك كتاب "الجغرافيا" لإبن سعيد (ت685 هـ/1286م) اعتمدنا معلوماته عن سكان المدن الساحلية، وما كانوا يتميزون به من ثراء. إضافة ل"الروض المعطار "للحميري (ت. ق8 هـ) بالرغم من أنه ينقل أحيانا معلومات التي أوردها الإدريسي مع إضافة بسيطة، إلا أنه من المصادر التي يعتمد عليها في دراسة النشاط التجاري في تلك الفترة .

بالإضافة إلى مراجع و دراسات حديثة إستعنا بها لإثراء الموضوع أهمها:

- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية، "المسلمون في غرب إفريقيا" اعتمدنا عليه كثيرا في معرفة موقع وسكان الكانم، وكذلك التعرف على شخصية الكانمي، ومحمود شاكر في كتابه التشاد أفادنا في موقع الكانم....

أما الرسائل الجامعية فنجد : "المالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (5هـ -10 هـ/ 11م- 16م) لمبخوت بودواية وهي اطروحة دكتوراه دولة. أيضا المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ وحتى سنة 893 هـ، لجميلة مبطي المسعودي، وهي رسالة ماجستير....وغيرها.

7- الصعوبات: لا أنفي وجود بعض الصعوبات التي واجهتني في عملية بحثي خاصة دراسة علاقات بلاد المغرب مع ممالك افريقيا لقلة المصادر المتخصصة في هذا المجال، والمراجع التي لم تسلط الضوء على العلاقة الحفصية الكانمية. مما أدى إلى التركيز على جملة من مصادر و مراجع في خدمة هذا الموضوع.

وفي الأخير نرجو أن نكون من خلال بحثنا هذا قد ساهمنا في تقديم أو إضافة بعض المعلومات للمكتبة الجامعية، كما نتمنى أن يكون هذا العمل ذا فائدة على الطلبة وعلينا. ونأمل أن نكون قد وفقنا. و ختما نسأل الله أن يتقبل هذا العمل المتواضع.

المبحث الأول

I/-	**لمحة تاريخية وجغرافية عن الدولة الحفصية ومملكة كانم.**
1.I/-	**تاريخ وجغرافية الدولة الحفصية.**
	أ/- الدولة الحفصية تاريخيا.
	ب/- الدولة الحفصية جغرافيا.
2.I/-	**تاريخ وجغرافية مملكة الكانم.**
	أ/ - مملكة الكانم تاريخيا.
	ب/- مملكة الكانم جغرافيا.
3.I/-	**أصول العلاقات الحفصية الكانمية وتطوراتها.**

I/- لمحة تاريخية وجغرافية عن الدولة الحفصية ومملكة كانم.

1.I/- تاريخ وجغرافية الدولة الحفصية:

أ/- **الدولة الحفصية تاريخيا:** كانت أسبق الدول ظهورا وأوسعها انتشارا حيث أعلن عن تكوينها رسميا عام 1227م. وإستمرت دولة مزدهرة حتى عام 1574م.[1] وأطلق المسلمون الفاتحون على شمال إفريقيا اسم بلاد المغرب الإسلامي منذ القرن الأول الهجري، ثم قسموا هذا النطاق الجغرافي الشاسع إلى ثلاثة أقسام هي:1- المغرب الأدنى. 2- المغرب الأوسط . 3- المغرب الأقصى.

جاء هذا التقسيم تبعا للقرب أو البعد من دار الخلافة في الحجاز و دمشق وبغداد،[2] وظلت كذلك إلى منتصف القرن السادس عشرين استولى عليها الأتراك العثمانيين وأصبحت منذ عام 1574م تابعة لهم،[3] وأطلق عليها أيضا المسلمون على المغرب الأدنى اسم إفريقية أيضا، وكان يشمل المنطقة الممتدة من طرابلس شرقا،[4] وحتى بجاية غربا.[5] وكانت تشمل تونس الحالية وجزء من إقليم طرابلس و إقليم الزاب،[6] شرق الجزائر الحالية وقاعدتها القيروان،[7] ثم مدينة تونس فيما بعد.[8]

---

1 - نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس**، ج 4، دار الأمير، 1995، ص 21.

2 - حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب و الأندلس**، دار المستقبل، القاهرة، 1980م، ص 19-20.

3 - أحمد إسماعيل راشد، **تاريخ أقطار المغرب السياسي الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 90.

4 - طرابلس اللاتينية (تريبوليس) أي المدن الثلاث، عربها العرب المسلمين الفاتحين إلى طرابلس، وتبعد عن مدينة القيروان شرقا مسافة 200 ميل، و تقع شمال شرق جبل نفوسة بمسافة 40 ميل. انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977 م، ج 4، ص 25.

5 - بجاية: مدينة قديمة بناها الفنيقيين، جدد بناءها المنصور بن بلكين بن حماد، وسماها المنصورية ونقل عاصمته من بني حماد لمدينة المنصورية. ظلت قاعدة المغرب الأوسط في عصر بني حماد، يحدها من الشمال البحر المتوسط. وتبعد شرق قلعة بني حماد بمسافة 80 ميل. انظر: محمد بن عبد المنعم الحمري، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 281 .

6 - إقليم الزاب: يقع شرق جنوب الجزائر، مناخها صحراوي حار وجاف واحاتها ونخلها وبحيراتها وأنهارها، أهم مدنها المسيلة و بسكرة، و تهودة و نقاوس وطبنة، انظر: محمد بن عبد المنعم الحمري، **المصدر السابق**، ص 281.

7 - القيروان: معرب وهو باللغة الفارسة كاروان، وهذه المدينة عظيمة بإفريقية ،و ليس بالغرب مدينة أجل منها إختطها وبناءها عقبة بن نافع الفهري سنة 50 ه إلى سنة 55 ه و ظلت لعهود طويلة حاضرة بلاد إفريقية.

8 - تونس: مدينة كبيرة بإفريقية، كانت قديما مرفأ صغير انشأه الفينيقيون، ثم بناءها حسان بن نعمان وسماها تونس، وأنشأ فيه أسطول بحري ودار صناعة السفن، الحموي،**المصدر السابق**، ج61، ص 60-62 .

أما الظروف التي ساعدت في ظهور بني حفص كإمارة مستقلة هي ظروف التي مرت بها دولة الموحدين، فحين انقسمت الدولة الموحدية في 1204م إلى دولتين، إحداهما الدولة المؤمنية نسبة إلى عبد المؤن بن علي في مراكش.[1] فقد مثل ذلك الانشقاق بين الأفراد البيت الحاكم حيث وجد في هذه الفترة أميران ويحي بن الناصر متنازعات بالإضافة إلى سياسة المأمون الجديدة التي شككت في عصمة المهدي الموحدي، مما أثار حفيظة الكثير من قبائل الموحدين.[2] هذا الأمر أضعف كامل الدولة وجعل الخطر يحدق بها من كل الجوانب.

فبلاد المغرب كانت أول من بدأ التفكك السياسي في العالم الإسلامي إذا شهدت أرضية أولى الدويلات المستقلة، وتكونت في دول متعددة منها ما كان للعباسيين سيادة شكلية عليها سلطانها مثل الرستمية أصحاب تاهرت،[3] (161 هـ / 874م)، ودولة بني مدرار أصحاب بسجلماسة[4] (140 هـ /756م /756م) و الأدارسة بفاس [5] (172هـ / 886م).

والملفت تاريخيا في هذا أن بلاد المغرب كما بدأت هذا الانشقاق وتعددت فيها الدويلات سرعان ما تجاوزت هذه المرحلة إلى مرحلة تعدد الخلافات في العالم الإسلامي.

إذ ظهرت فيها الفاطمية سنة (296هـ / 909م)، التي ادعت الخلافة في المغرب قبل انتقالها إلى مصر. ثم توالى ظهور الدولة في المغرب الإسلامي كبني زيرة (367هـ /980م)، وبني حماد (395هـ/998م)

---

1 - نجيب زبيب، **المرجع السابق**، ص 24.

2 - عبد الواحد ذنون طه، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص 397 .

3- تيهرت: مدينة مشهورة في المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان لها ثلاثة أبواب: باب الصفا وباب الأندلس وباب المنازل يقع جنوبها قبائل لواته وقوارة ويقع غربها قبيلة زواغة، وفي شرقها حصن تاهرت القديمة، ويسكنها قبائل مطماطة وزناتة ومكناسة، وكانت حاضرة المغرب الأوسط في عصر الرستمين. انظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، **المصدر السابق**، ص ص 162 -127 .

4 - سجاماسة: من أهم مدن المغرب الأقصى، تقع في طرفه الجنوبي في صحراء المغرب الأقصى، لا يوجد في جنوبها وغربها عمران، تقع على طرق القوافل التجارية الصحراوية مع بلاد غانا. راجع: مؤلف مجهول: **كتاب الاستبصار في العجائب الأمصار**، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ،مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص 200.

5 - فاس دينة مشهورة في بلاد المغرب الأقصى وهي حاضرة المغرب الأقصى في العصر الأدارسة و دولة بني مرين اختطت و بنيت قبل مراكش حاضرة المرابطين والموحدين وفاس عدوتين، عدوة الأندلسيين أسسها الأدارسة سنة 192هـ، وعدوة القرويين أسسوها 193هـ. راجع: الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مطبعة بريل، لبنان، 1863، ص 32-33.

والمرابطين (450هـ /1053م) في المغرب الأقصى، ورث أملاكها ثلاث دول لعبت دروا خطيرا في المغرب الإسلامي هي: الدولة المرينية سنة (668هـ / 1263م) في المغرب الأقصى، و الدولة الزيانية سنة (633هـ / 1236م) في المغرب الأوسط. وبنو حفص سنة (621 هـ /1222م) و في المغرب الأدنى.[1]

أما بالنسبة لنسب الحفصيين إلى النسب الشريف، حيث يرى المؤرخين أن الحفصيين ينتسبون إلى جدهم أبي حفص عمر، وقيل أنهم ينتسبون إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبفضل انتساب الحفصيين إلى قريش وإنتسابهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقرابتهم من الموحدين، استطاعوا أن يكسبوا حكمهم صيغة شرعية.[2]

يرجع الحفصيون نسبهم إلى شعبة هنتاتة،[3] وهي شعبة كبيرة من قبيلة المصامدة أكبر قبائل المغرب الإسلامي و أقواها، وكان شيخ هنتاتة أبي حفص عمر بن يحي، كان هو والجلات قبيلة هنتاتة من أوائل مناصري دولة الموحدين،[4] وإنتظم أخلافه من بنى حفص في سلك كبار الولاة والقادة بالمغرب والأندلس لدولة الموحدين،[5] ينتمي أبو حفص عمر إلى قبيلة هنتاتة، وكان له دور كبير في نجاح دعوى المهدي بن تومرت ثم دعم الدولة الموحدية في عهد خليفة عبد المؤمن بن علي إذ كان من أهل الجماعة الذين بايعوه، وكانت له أدوار حاسمة في عهد عبد المؤمن وإبنه يوسف إذ كان مقدما عندهما وموضع مشورة و ثقة حتى أن عبد المؤمن كان يستخلفه على المغرب إذ خرج منه.[6]

وترى بعض المصادر نسب الحفصين إلى الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - من ذلك ما ورد في الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية حول نسب أبي محمد عبد الواحد فيقول: "هو المولى أبو محمد إبن الشيخ أبي حفص عمر إبن يحي بن محمد بن والد بن علي بن محمد بن

---

1 ابن أبي زرع، **الذخيرة السنة في تاريخ الدولة الدينية**، تح: عبد الوهاب منصور، المكتبة الملكية، 1972، ص 98.

2 - حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام الديني والثقافي**، دار الجيل، بيروت، ج 4، ط، 14، 1996، ص 303.

3- هنتاتة: من أعظم قبائل المصامدة وأكثرها جمعا وأشدها قوة ومضاربها بجبل درن. انظر: ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 6، ص 370.

4 - ابن خلدون، **المصدر نفسه**، ج 1، ص ص 577-578.

5 - البندق، **المقتبس من كتاب الأنساب**، تح: ليفي بروفسال، باريس، 1928، ص 33.

6 - عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1383هـ / 1963م، ص 48.

ولال بن إدريس بن خالد بن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن محمد بن محبة بن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه.[1]

والظاهر أن القصد من وراء رفع نسب البيت الحفصي إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - هو إكساب الحكم الصبغة الشرعية والتميز عن سائر القبائل البربرية بالنسب الشريف،[2] وما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأمر لم يكن قاصر على الدولة الحفصية وحدها، وإنما كل من بني عبد الواد وبني مرين سعوا إلى إضفاء النسب الشريف على قبيلتهم. **(انظر ملحق 03).**

وعندما دبت عوامل الضعف والتفكك في كيان دولة الموحدين استغل السلطان الحفصي أبو زكريا محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص الظروف فأعلنت استقلاله عن الدولة الموحدية وتأسيس الدولة الحفصية في إفريقية (المغرب الأدنى / 621 هـ /1222م).[3]

كانت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى أسبق الدول التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية،[4] فبعد أن كان الحفصيين مرافقين للموحدين ومساعدين لهم في الدفاع والحفاظ على دولتهم. أقدم الناصر الموحدي سنة (603هـ/ 1206م) على إقطاع إفريقية وإسناد أمرها إلى عبد الواحد بن أبي حفص والذي لم يقبل بذلك إلا بعد جهود كبيرة بذلك الإقناع وشروط إشترطها على الناصر الذي أعطاه مطلق التصرف في إدارتها، كي يستطيع القيام بأعبائها ويقضي على الفتن والثورات المستعمرة خاصة ثورة بني غانية التي إشتدت وطأتها في هذه المرحلة.[5]

ولعل قوة شخصية عبد الواحد بن أبي حفص ومكانته عند قبائل البربر كانت وراء رغبة السلطان في إبعاده إلى إفريقية، خاصة أمام الرغبة الشديدة التي أبدتها حاشية السلطان محمد

---

1 - ابن الشماع أبو عبد الله محمد، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404 هـ /1984 م، ص 48 .

2 - جميلة مبطي المسعودي، **المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ وحتى سنة 893 هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1421 هـ/ 2000م، ص 11.

3 - مؤلف مجهول: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، الدار البيضاء، 1979، ص 194 .

4 - عاشور بوشامة، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626 -981 هـ / 1228-1573م**، رسالة ماجستر في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412هـ / 1991م، ص 103.

5- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في قسم الموحدين**، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1406 هـ/ 1985 م، ص 291 .

الناصر في ذلك، وما يدعم هذا الأمر هو عدم وفاء هذا الأخير لإبن أبي حفص بالصورة إلى مراكش بعد إنهاء مهامه في ثلاث سنين.[1] بل تصرف في شؤون إفريقية تصرف الملك وبقي على رأسها إلى غاية وفاته، أي أكثر من خمس عشر سنة، وكان حكمه لها أشبه ما يكون بالحكم الذاتي، خاصة أمام المسافة الكبيرة الفاصلة بين تونس ومراكش عاصمة الخلافة.[2]

ب/- الدولة الحفصية جغرافيا:

كان إقليم تونس يسمى إفريقية وبه كانت في القديم مدينة قرطاجة من جهة الغرب إقليم قسنطينة، ومن جهة الشرق إقليم طرابلس، ومن جهة الجنوب جبال الأطلس، وإقليم الزاب، وجزء من نوميديا وليبيا الشرقية أما من الشمال فيحده البحر المتوسط.[3] ومن التسميات التي أطلقت على هذه المنطقة أيضا إسم المغرب الأدنى كموقعها الجغرافي، كذلك يسمى بإفريقية كان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر.[4] **(انظر ملحق 01).**

كان موقع تونس الجغرافي وبروزها في البحر المتوسط إلى جانب طرقها الساحلية التي كانت تربط بقية أقطار المغرب المشرق، كان له أثره في أن ظلت تونس من عصور ما قبل التاريخ منطقة إلتقاء وتقابل - لأنها في مفترق الطرق فجميع القوى التي سيطرت أو حاولت السيطرة على المغرب العربي، اتخذت من تونس قاعدة لها، لأنها تواجه الحوضين الشرقي والشمالي للبحر المتوسط، وتبلغ مساحة تونس قرابة 150-164 ألف كلم، وبلغ عدد سكانها عام 2000 تقريبا 11.450 مليون نسمة.[5]

أما حاليا فتعتبر إحدى الأقطار العربية الإفريقية على البحر المتوسط من الناحيتين الشرقية والشمالية، هذا ما يجعل من تونس موقعا إستراتيجيا مميزا.

1- عبد الرحمان بن خلدون، **العبر**، ج 6، **المصدر السابق**، ص 374، محمد العروسي المطوي، **السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي**، بيروت، 1986، ص 100.

2- عبد العزيز الدولاتلي، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، دار سراس، تونس، 1981م، ص 59.

3- لمارمول كربخال، **إفريقيا**، تر، محمد حجي محمد زبير، دار المعرفة، الرباط ،ج 3، د ط، 1989م، ص 16.

4- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة الثقافية الجامعة الإسكندرية، 2001، ص 12.

5- أحمد إسماعيل راشد، **المرجع السابق**، ص 87.

2.I/- تاريخ وجغرافية مملكة الكانم:

أ/ - مملكة الكانم تاريخيا:

من الأساطير الشائعة والمتناقلة بين أهالي المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، أسطورة تقول أن المناطق المحيطة بالبحيرة هي نفسها التي عاش بها سيدنا نوح عليه السلام، ويبدو أن قبائل تلك المناطق التي عاشت خلال العصور الوسطى صدقت الأسطورة، فأراضيهم سموها ب"بورنوه" ومعناها في لغتهم "أرض نوح" وأطلقوا على أسرتهم الحاكمة إسم "السيفورا" أي أبناء "سيف" أو "ست" الذي يعتبر لديهم أول إبن ولد لسيدنا أدم عليه السلام، وعرفنا هذه القبائل بإسم " قبائل الصو".[1]

هؤلاء القبائل وفدوا إلى المناطق الجنوبية الغربية لبحيرة تشاد في أوائل القرن الثامن للميلاد. وكانوا طوال الأجسام بشكل يلفت النظر، ولذلك كان من السهل عليهم -كما يقولون- أن يهزموا "الرجال الصغار" الذين كانوا يستوطنون تلك المناطق قبلهم ،ثم استمر زحفهم حتى الشواطئ الشرقية لبحيرة تشاد واستقروا هناك. وقد تركت قبائل "الصو" على أرض تلك المنطقة أثارا ما زال بعضها باقيا حتى الآن، وما زال أغلبها دفينا لم تكشف عنه الحفريات بعد، وقد ظهرت مفاجأة تاريخية نتيجة للعثور على بقايا البيوت التي كانت تعيش فيها تلك القبائل، وذلك حين تبين أنهم كانوا يستعملون "الطوب الأحمر" في البناء، وهو أمر لم يكن معروفا لدى الممالك الإفريقية الأخرى التي كانت معاصرة لهم في تلك الفترة.[2]

كذلك عثر على كثير من الآثار الفتية والتماثيل ذات طابع إفريقي كلاسيكي وبالدراسة التحليلية لبعض القطع الفتية، تأكد أن ثقافة قبائل "الصو" كانت عبارة عن تطويع إفريقي لمزيج من الثقافة التي كانت سائدة بين شعوب نهر النيل، والثقافة التي كانت سائدة بين القبائل التي كانت تعيش على شواطئ نهر النيجر، كانوا يصنعون أسنة رماحهم من الخزف الصلب المشطوف، وتركوا تماثيل مصنوعة من الخزف أو من البرونز على شكل الإله المصري القديم "أمون رع".

1- قبائل الصو: من سكان منطقة تشاد، وأحد أقسام الفولاني، وأول سكان كوار، كونوا لهم دولة في القرن 19 مركزها بلما في واحة كوار، يرجع أصولهم إلى الهكسوس على أساس تشابه الخلقة ودورهم في إفريقية كدور الهكسوس في مصر، مثلوا قوة في إمبراطورية كانم. انظر: **ماد هو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية**، تروتع: أحمد فؤاد بلبع، ط2، مجلس الأعلى لثقافة، 1998، ص 177.

2- جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السودان**، ترجمة مختار السويفي، ط 1، دار الكتاب المصري القاهرة، 1984، ص 90.

وهي الطريقة التي كانت معروفة في وادي النيل المصري والتي انتقلت بطريقة ما زالت مجهولة حتى الأن إلى أعماق إفريقيا حتى وصلت إلى منطقة "بنين" المطلة على خليج غينيا بغرب إفريقيا في هذا الزمن القديم، والمستقر عليما في الآن نتيجة لدراسات والبحوث الأثرية والتاريخية، أن قبائل "الصو" أدت دور حلقة الوصل بين الحضارات الإفريقية التي كانت سائدة في شرق القارة وغربها في جميع مناطق الواقعة على الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى.[1]

ومع ذلك فإن هناك كثيرا من الغموض ما زال يحيط بتاريخ تلك القبائل وكيفية ظهورها وإختفائها بعد أن تركت هذه الآثار الحضارية المتميزة، وبعد اختفاء قبائل "الصو" حلت بنفس المناطق التي عاشوا فيها حول بحيرة تشاد قبائل أخرى، هي "قبائل الكانورى".[2] وأنشأوا مملكة جديدة هي مملكة "كانم - بورنوه" التي ما لبثت أن غزت أراضي المجاورة وضمتها للإمبراطورية الجديدة، ونشأت بذلك أطول إمبراطورية إفريقية زمنا وإستمرارا وأكثر الإمبراطوريات بهاء وبريقا وفخامة.[3]

مملكة الكانم هي دولة إسلامية كبرى في إفريقيا، عمرت أكثر من 09 قرون، قامت بعبء نشر الإسلام في القارة و الحفاظ على ثقافتها فهي من غير شك دولة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم، ولولا قوة نظمها وأصالة القواعد التي قامت عليها لما عاشت هذه القرون، رغم ما شهدت من إنكماش في حدودها، وما يزيد في أهمية تاريخ دولة كانم، أنها لم تبلغ ما بلغت من عظمة وقوة عمر طويل، إلا بعد أن صارت دولة إسلامية، فقد أصبح الدين الإسلامي بثقافته الراقية عصب قوتها الروحية بل المادية، كما صارت اللغة العربية لغتها الرسمية في شتى مناحي الحياة، وقد إختلف الباحثون في تحديد نشأة دولة كانم، كما إختلفوا فيمن يسكن الكانم عند ظهورها كدولة، فمن قافل أن الحكومة الأولى التي قامت في إقليم كانم تنتسب إلى قبائل الزغاوة، ومن قائل بأن هذه المنطقة تقطنها قبائل حامية قردية الشبه بقبائل الطوارق والبربر والماغوميين وكلا الفريقين من نبلاء الطوارق.

1- جوان جوزيف، **المرجع السابق**، ص 90.

2- قبائل الكانوري: يجمعها شبه كبير بقبائل الكانمبو من حيث كونها خليطا من عناصر مختلفة من العرب والبربر والزنوج كما اختلطت بالكانمبو، يكونون أغلب سكان كانم وبرنو، وسادت لغتهم في المنطقة بحيث كانت كانوري تطلق على جميع المتكلمة هذه اللغة بصرف النظر عن أصولها، يرجع إليهم الفضل في الإكثار من إستخدام الخيول وعرفوا بأنهم من أمهر الفرسان، ماد هو بانيكار، **المرجع السابق**، ص 177.

3- جوان جوزيف، **المرجع السابق**، ص 90.

ورد ذكر مملكة الكانم في كثير من المصادر حيث ذكر إبن السعيد أن خبو بها صحاري وفيها أشخاص متوحشة تؤذي بني أدم. ويذكر أيضا العمري أيضا "أن هذه البلاد بين إفريقية وبرقة ممتد في الجنوب إلى سعت الغرب الأوسط وهي بلاد قحط وشطف وسوء المزاج". ويرجع مبدأ هذه المملكة من جهة مصدر مدنية دزلا أوزالا وأخرها بلدة كاكا،[1] بينهما ثلاثة أشهر كما يذكر ديلا فوس بأنه يوجد بشرق بحيرة شعب تربطه بشعوب أخرى لغة واحدة يسمى بالكانم.[2]

وبلغت مملكة " كانم" أقصى قوتها عهد الملك سالما مابين 1194- 1221م، وبعد موت هذا الملك القوى استمرت مملكة كانم تاريخيا لمدة مائة وخمس وستين سنة أخرى، قضتها في حروب مضفية تدافع فيها ضد غزوات القبائل المجاورة، خصوصا قبائل "البولالا" التي كانت تعيش هي الأخرى في مناطق شرق بحيرة التشاد، وتسببت قبائل "البولالا" في كوارث جمة، ألحقتها بمملكة كانم وشعبها من قبائل "الكانوري"، وفي سنة 1386م، حسم الملك "عمر" ملك كانم الأمر ورحل بشعبه كله من منطقة شرف البحيرة و إتجه إلى شواطئها الغربية، حيث أسس هناك مملكة جديدة هي ما تسمى مملكة "بورنوه الجديدة" التي تميزت بأنها أكثر الممالك بريقا وأبهة، بين الممالك والإمبراطوريات الإفريقية التي ظهرت في العصور الوسطى، وكان نظام الحكم في مملكة "بورنوه الجديدة" مماثلا لنظام الحكم الذي كان سائدا في مملكة "كانم" فالملك أو "الماي" يعامل من شعبه على أساس أنه إله، و لا يمكن أن يتجرأ إتباعه على النظر إليه، وذلك رغم أن الدين الرسمي للملكة هو الإسلام.

كما أن الشريعة الإسلامية هي القانون "الماي علي" عرش بورنوه، واستمر حكمه نحوى إحدى وعشرين سنة، أنشأ خلالها عاصمة جديدة للمملكة، وهي مدينة "بيرنى جازا رجو مو" وكانت مدينة بديعة محاطة بالأسوار من كل جهة وتقع في المنطقة الشمالية للمملكة على ضفاف نهر "طوبى" الذي يعتبر حاليا ضمن حدود السياسة التي تفصل بين دولتي النيجر ونيجريا، واعتبرت هذه المدينة من أكبر المدن الإفريقية التي أنشأت في فترة العصور الوسطى ومازالت بها حتى الآن الآثار الباقية من قصر "الماي علي" الذي كان مبنيا بالطوب الأحمر.[3]

1- كاكا: هي قاعدة سلطان البرنو. لمزيد من المعلومات راجع: شهاب الدين بن يحي بن فضل الله العمري ،**مسالك الأبهار**، ط1، تح: أحمد حمزة عباس، المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، مج 04، ص 95-97.

2- Maurice Delafosse, les noires des l'Afrique, édition Payot, paris 1941, p 100.

3- جون جوزيف،**المرجع السابق**، ص 90.

غير أن أشهر وأقوى الملوك "المايات" في تاريخ بورنوه، هو "الماي إدريس علومه" الذي أسس أرقى جيش ظهر في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا، ولم يكن لهذا الجيش مثيل، إذ يعتبر أول جيش إفريقي يعتمد في تسليحه على النار والبارود في حين كانت كل الجيوش الأخرى تستعمل الأسلحة الإفريقية التقليدية كالسهام والرماح. وكان الجنود والفرسان في هذا الجيش يلبسون - مثل العصور الوسطى في أوربا - الخوذات الحديدية، ويتدرعون بالحرزودة وهي أردية مرنة مصنوعة من حلقات حديدية مضفرة، والخيول ايضا كانت مدرعة بأغطية ثقيلة لحمايتها أثناء المعارك.[1]

أما ثروة مملكة "بورنوه" فكانت في الغالب نتيجة لقيامها بتجارة وتصدير العبيد الذين كانوا يقعون في أسر هذا الجيش، وقد مات "الماى إدريس علومة" سنة 1617م، وبدأت القلاقل والمتاعب تهب على مملكة بورنوه الأخرين حتى جاءت بداية القرن 18 الميلادي. وكان الضوء قد خب تماما عن تلك الحضارة الكبرى التي سادت في تلك المنطقة الإفريقية لفترة زمنية إستمرت نحو ألف سنة.[2]

ب/- مملكة الكانم جغرافيا:

وتقع هذه المملكة جغرافيا شمال شرقي بحيرة التشاد فقد كانت تمتد من النيجر غربا وتضم جزءا من بلاد الهوسة وتصل إلى منطقة الوادي شرقا كما كانت هذه المملكة بلد مسلم مستقل ولقد كانت بعيدة جدا عن مملكة مالي .[3]

فتقع مملكة الكانم بين بحر الغزال و بحيرة التشاد في السودان الأوسط و أراضيها الأن تمثل جزء من دولة التشاد وهذه هي المنطقة الأساسية الأولى التي عرفت بها مملكة الكانم وكانت توسعت حدود هذه المملكة بعد دخول الإسلام لكي تشمل مناطق جنوبي غربي بحيرة التشاد وما يعرف بمنطقة البورنو .[4] **(انظر ملحق 02).**

1- جون جوزيف،**المرجع السابق**، ص 90.

2- **المرجع نفسه**،.

3- محمود شاكر، **التشاد**، ط 1، وزارة المعارف، السعودية، 1972، ص 38 .

4 - جون جوزيف،**المرجع السابق**، ص 97 .

تبلغ مساحة مملكة الكانم تقريبا 27000 كلم، وتضم أكثر من 150.000 نسمة، ويسكنها عرب من أولاد سليمان، و"الكانبو"، وبعض القبائل الأخرى. وفي فترة ما بين عامي (700م - 750م) هاجر إليها شعب "الزغاوة" وهم القبائل من الزنجية والحامية من شمال وشرق إفريقيا.[1]

فقد أسس مملكة الكانم بنو سيف ذي يزن في النصف الأول من القرن (07 هـ /13م) وبلغت أوج اتساعها وازدهارها في عهد السلطان "ماي دونا مادا بلامي" الذي بسط نفوذه في القسم الشمالي.[2]

يعتبر الكانم أكبر مملكة نشأت في منطقة المراعي بين نهري النيل والنجير، وبالرغم من افتقادها بمناجم الذهب التي كانت موجودة في غانا و مالي، فإن موقعها كان مصدرا لثراء وذلك لسيطرتها على طرق تجارة القوافل المتجهة شمالا إلى فزان ليبيا،[3] إلى البحر المتوسط شرقا إلى حوض نهر النيل وأراضي واسعة في منطقة السودان الأوسط والسودان الغربي، وبسبب هذا الامتداد نحو الغرب أدرجت هذه المملكة في قائمة المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا.[4]

ويؤكد لنا المقريزي على مدى اتساع هذه الدولة فيقول: " أعلم أن ضفة النيل أيضا الكانم وملكها مسلم...". وبهذا كانت كانم أقوى دولة بل أكبر دولة حظيت بمكانة خاصة ،جعلتها صاحبة مكانه بارزة في إفريقيا منها موقعها الذي كان ملتقى عدة طرق ،ثم تأثرها بحضارات النيل ،بالّإضافة إلى الهجرات العربية التي كان لها أكبر الأثر في المدى الإسلامي في المنطقة ،و يذكر ياقوت أن (كانم) بكسر النون من بلاد البربر ،في أقصى المغرب في بلاد السودان.[5] وعن البكري "بين زويله وبلاد الكانم أربعون مرحلة، وهم وراء الصحراء من بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم".[6]

1- محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المسلمون في غرب إفريقيا**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2007، ص 129.

2- إبراهيم عمر إلياس، **دور الحجيج في نشر اللغة العربية والثقافية الإسلامية في مملكة الكانم بورنو**، قسم الدراسات العربية الإسلامية، جامعة ميد غري د . ت، ص02.

3 - إبراهيم عمر إلياس،**المرجع السابق**، ص 02.

4- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 129.

5- ياقوت أبو عبد الله الحموي، **المصدر السابق**، مج 4، ج 7، ص 116.

6- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، دي سيلان، الجزائر ، 1857، ص 11.

ويقول القلقشندي "وبلادهم بين إفريقية وبرقة، ممتد في الجنوب إلى سمت الغرب الأوسط." وقال إبن سعيد "حيث الطول ثلاث وخمسون درجة والعرض تسع درجة" .[1]

وأول هذه الهجرات هجرة "الزغاوه" وهم شعب جمع بين المؤثرات الزنجية والحامية، وانتشروا في مستهل هذه الفترة في مساحة رحبة تمتد من بلاد دارفور حتى بحيرة تشاد،[2] ويقول اليعقوبي في وصف زغاوة أنهم كانوا ينزلون في موضع يقال له كانم، ومنازلهم أخصاص القصب.[3]

وأكد اليعقوبي وجود مملكة الكانم أوائل القرن التاسع الميلادي، ويدعم اعتقاده ما قال به مؤرخون آخرون منهم الفرنسي أرخوي الذي أشار إلى تأسيس السيفية -نسبة لسيف بن ذي يزن- في كانم حوالي 100م.[4] كما تحدث اليعقوبي في كتابه" تاريخ اليعقوبي" قائلا :" ... *وأما السودان الذين غربوا و سلكوا نحو الغرب فإنهم قطعوا البلد فصارت لهم عدة ممالك . فأول ممالكهم: الرغاوة و هم النازلون بموضع الذي يقال له كانم*"[5] كما تحدث البكري بتحديد حدود كانم من الشمال قائلا: "*بين زويلة و بلاد الكانم أربعون مرحلة، وهم وراء الصحراء في بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم*" .[6] وذكر ابن السعيد المغربي أن هذا الإقليم يقع على بحيرة كوري (بحيرة تشاد)، من شرقها.[7]

وكثرت الروايات و الأساطير حول أصول و تاريخ ظهور هذه المملكة فبعض الآراء أكدت وجودها قبل ظهور الإسلام على أساس التشابه في الآثار التي وجدت في قصورهم و أثارا الفراعنة خاصة في الصناعات النحاسية و الفخارية الحديدية.[8]

1- ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى المغربي، **كتاب الجغرافيا**، حققه إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت، ص 90.

2- محمود حسن أحمد، **الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا**، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، ج1، 1967م، ص 200.

3- اليعقوبي أحمد بن إسحاق، **تاريخ اليعقوبي**، تع: خليل المنصور، دار الكتب، بيروت، 2002 م، ج1، ص 166.

4- زكي عبد الرحمان، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، القاهرة، 1961، ص 173.

5- اليعقوبي، **المصدر السابق**، ص 193.

6 - أبو عبيد الله البكري، **المصدر السابق**، ص 11.

7 - أبو الحسن علي بن موسى بن السعيد المغربي، **المصدر السابق**، ص 94.

8 - لعربي حجيلة، **مملكة الكانم، برنو في عهد السلطان إدريس ألوما (1571 -1604)، دراسة للجانب الاقتصادي** ، رسالة الماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 02، سنة 2013-2014، ص 15.

أما الروايات المحلية ترجع وجودها إلى فترة ما قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا .و يرجعه آخرون إلى القرن الثامن للميلاد بناءا على ما توصلت إليه الحفريات التي قام بها المؤرخ الإنجليزي "crowder" غير أن التاريخ المحقق لظهورها هو حوالي القرن الثامن ميلادي ،ثم نمت واتسعت في القرنين التاسع والعاشر للميلاد.

واللبنة الأولى لهذه السلطنة أقامتها قبائل الزغاوة التي بسطت نفوذها على المنطقة في الوقت الذي كانت فيه قبائل نمطة البربرية تؤسس لنفسها مملكة في بلاد سنغاي،[1] وكان السلطان "زاكاسي" السنغي يقيم عاصمته على ضفاف نهر النيجر بمدينة "جاو"،[2] وكانت دول "الهوس"،[3] تمارس حياة شبه بدائية شمال نيجيريا اليمني الحالية. وبعد هذه القبيلة قامت الأسرة "الماغومية"[4] التي ادعت النسب اليمني وحكمت طويلا بكانم وبرنو، حتى قضي عليها "الفولانين" في القرن 19م .[5]

أما المظاهر التضاريسية يحتوي هذا الإقليم على مواقع كثيرة ومتنوعة فبعض نواحيه جبلية وأخرى سهلية مأهولة بالسكان، إضافة لصحاري شاسعة.[6]

---

1 - سنغاي: قبيلة سكنت النيجر حول حدود الغابات الإستوائية في سنوات الميلاد، ثم أخذت تنتقل إلى شمال النيجر، وفي القرن 09 الميلادي كانت تمتد مساكنها حول النجير بحوالي 150 كلم، وتمتهن صيد الأسماك وزراعة الدخن، وثم بدأ انتظام شعبها تحت سلطة واحدة، أما الآن فإن السنغانيين، يتوزعون بين جمهورية النيجر ومالي، وفي المناطق المحيطة بغاو، وتوجد أقليات منهم في أغدس وتمبكتو وجني، وهناك أقلية ضئيلة منهم في شمال الداهومي، أنظر: لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 12.

2- جاو: تقع حاليا في مالي، كانت عاصمة سنغاي، نشأت بالضفة اليمنى لنهر النيجر لكن قسم الضفة اليسرى الذي أصبح يمثل مدينة غاو الحالية، وقد كان زاكس الملك 15 للأسرة الحاكمة في سنغاي أول من أسلم. وهو من نقل إليها عاصمة ملكه، أنظر: الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 169.

3- دول الهوسا: وهم "كانو - كتسينا - زتفرا - زرايا -دورا - غوبر - كبي " حيث تشير الروايات إلى أن أمراء هذه الولايات من أصل واحد و هو أباجيذا كما أن هناك من ولايات الهوسا غير أصلية يطلق عليها بانزا بكوي banza bakwal وتذكر الأسطورة السابقة أن بيا جيدا تزوج من جارية وهبتها له زوجته فأنجبت منه سبع أولاد أسسوا سبع ولايات أخرى عرفت بإسم بندا بكاوي. وهذه الولايات هي: "كبي - جوالي - يوربا –زاماغارا- جوكن – نوبي- عواري" . أنظر: لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 16.

4- الماغومية: يتمركزون في المنطقة الغربية لهضبة يوبي، ويمثلون اليوم الكانوري، وهي فرقة هامة التي تربط بها العائلات السيفاوة التي حكمت الكانم البرنو منذ نشأتها إلى غاية القرن 19.

5 - لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 16.

6 - **المرجع نفسه**، ص 18.

كما نجد منطقة الكانم يحدها من الشمال أراضي صحراوية ومن الجنوب غابات السافانا. والغطاء النباتي يكثر باتجاه الشمال إلى الجنوب، وتمتد بقرب الصحراء سهوب قليلة الخضرة فيها شجيرات، وتتحول هذه المنطقة الجرداء المقفزة لسهول خضراء في فصل الجفاف عقب هطول الأمطار. ويتميز خاصة بكثرة الأشجار، وهو ما أشار إليه "محمد بيلو" في كتابه " إنفاق الميسور" حينما قال: ".. وأرض بورنو ذات أشجار ،و أنهار كثيرة الخصب"، فنجد أشجار الدوم والتمر الهندي والبوباب أو (العمارة)، والزبدة والقطن محل اللبخ تتجمع و لكنها غير كثيفة، ولا تكون غابة فالغابات توجد في الجزء الجنوبي وخاصة في الأقاليم المتاخمة للمنطقة الاستوائية، ولكن قد اهتم سكانها بغرس أشجار الليمون والتين والرمان في بعض الحدائق للمدينة.[1]

I.3/- أصول العلاقات الحفصية الكانمية وتطوراتها:

أثبتت لنا كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين العرب خلال العصر الوسيط وما بعده حتى وصول الأوربيين إلى داخل القارة في القرن 19 أن الغرب والوسط الإفريقيين إلى الشمال من خط الاستواء بصورة خاصة، قد أصبحا الامتداد للعالم العربي الإسلامي وجزء منه، فقد وصل الإسلام لغرب إفريقيا في وقت متقدم نتيجة العلاقات المتواصلة منذ القديم بين شعوب مصر وبلدان المغرب العربي من ناحية، والبلدان الإفريقية إلى الجنوب من الصحراء الكبرى من ناحية أخرى، فقد ذكر إبن عبد الحكم في "فتوح مصر أن عقبة بن نافع الفهري،[2] يكون قد أرسل وهو في منطقة برقة مفرزة استكشافية من جيشه باتجاه الجنوب وصلت إلى المناطق الجبلية واتصلت بالسكان .

وكذلك عرفت إفريقيا الإسلام إبان البعثة النبوية التي سبقت الهجرة إلى المدينة حين أشار النبي "ص" على المسلمين بأن يفرقوا في الأرض بعدما ذاقوا الأذى والتعذيب والقتل من قريش، فلما سألوه أين نذهب نصحهم بالذهاب إلى الحبشة المسيحية، لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد.

---

1 - لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 24 .

2- مما جاء في تلك الفتوح انه "خرج إلى المغرب بعد موية بن حديج وذلك سنة ست وأربعين ومعه بسر بن أرطأة وشريك بن سحيم المرادي، فأقبل حتى نزل بغدامس من سرت، فخلف عقبة جيشه هناك، واستخلف عليهم زهير بن قيس البلوي، ثم سار بنفسه في أربع ماية فارس وأربع ماية بعير وثمانماية قربة ماء، حتى قدم ودان فا فتحها وأخذ ملوكهم.. ثم سألهم هل وراءكم من أحد قالو أنهم أهل جاوان وهو قصر عظيم على رأس المفازة على رأس جبل وعر وهو قصبة كوار، فسار إليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرا فلم يستطيع لهم بشيء فمضى أمامه على قصور عوار فا فتتحها." البكري ، **المصدر السابق**، ص 12-13.

وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم به، فخرج فريق من المسلمين إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم، وخرجوا في هجرتهم.[1] فلما بسط الإسلام سلطانه على معظم الدنيا و دخلت العرب في دين أفواجا وفي عهد الخليفة الثالث بالتحدي عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذت الدعوة الإسلامية تنتشر في القارة من جديد، إذ أخذت الجيوش الإسلامية تزحف على شمال إفريقيا، ففتحو تونس في غزوة البعادلة، إذ اشترك فيها سبعة من الصحابة إسم كل واحد منهم عبد الله وهم: عبد الله بن أبي سرح، عبد الله بن الزبير ، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن مسعود، عبد الله بن عمرو بن العاص.

ثم استقر معاوية رضي الله عنه استأنفت الجيوش الإسلامية زحفها على افريقية حتى تم لهم النصر والفتح ودخل الإسلام شمال إفريقيا ثم غربها، وحمل إليها عقيدة التوحيد الخالص العقيدة السليمة من شوائب الوثنية.[2]

والدعوة الإسلامية لم تكن سهلة إذ بدأت ب 11رجلا و04 نساء وأقاموا في حيز جوار من النجاشى ملك الحبشة، حتى ترامي إليهم أن المسلمين بمكة أصبحوا بمأمن من أذى قريش فعادوا، لكن أمال المسلمين لم تكن كبيرة إذ لقوا من قريش الكره والأذى فعادوا للحبشة في 80 رجلا غير نسائهم وأطفالهم وأقاموا فيها إلى ما بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثر.[3] وبعدها بدأت أعداد المسلمين تزيد حتى أصبحوا كثرة وأسسوا دولتهم ومنها أصبحت الفتوحات تسير لكل مكان.

ففي عام (18 هـ/ 639م) دخلت القوات الإسلامية إفريقيا من فلسطين عبر سيناء بقيادة عمر بن العاص فتم فتح مصر كليا عام 642 م بالإضافة إلى برقة و طرابلس و في زمن الخليفة الأموي عبد المالك بن مروان (26 هـ - 646 م/ 86 هـ - 705 م) هاجر بعض الأمويين إلى شرقي إفريقيا، وعاشوا في هناك، وكان هذا الاستقرار قد حدث بهدوء، وبدون أي قوة أو عنف، ولا يذكر لنا التاريخ حروبا أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين، وقد أثر الإسلام في شرق إفريقيا حتى أصبحت اللغة السائدة هناك لغة إفريقية مطعمة بكلمات عربية.[4]

1- مؤمن مصطفى، **قسمات العالم الإسلامي**، دار الفتح، بيروت، 1974، ص 353.

2- محمد أمان الجامي، **الإسلام في إفريقيا عبر التاريخ**، مطابع الجامعية الإسلامية، المدينة المنورة، د ت، ص 19.

3 - هيكل محمد حسنين، **حياة محمد**، ط 9، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965، ص 153.

4 - محمد فاضل باري، **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار الكتب، بيروت، 1971، ص 22.

أخذت شعوب الغرب والوسط الإفريقيين إلى الجنوب من الصحراء بالإسلام وإمتزجت بالعالم العربي الإسلامي إلى حد كبير، وتمثل ذلك بصورة خاصة في المراكز الإسلامية الكبرى في المدن والحواضر السودانية مثل تمبكتو وجني وسوقوطو وغيرها.. التي تكاثر طلاها طيلة العصر الوسيط، وفي القرنين 18 و 19 قام السودانيون في الغرب و الوسط الإفريقيين بحركات جهادية كانت أهدافها المعلمة دائما هي نشر الإسلام في المناطق الاستوائية والمدارية التي كانت لا تزال تدين بالوثنية من ناحية، وإصلاح حال المسلمين والعمل على تمكينهم من الدين الإسلامي بالشكل الصحيح في المناطق المسلمة من ناحية أخرى، وقد تشكلت في غرب و وسط إفريقيا دول عديدة بلغت توسعا كبير.[1]

كان أمراء الإمبراطوريات رجالها يعتبرون الطريقة العربية الإسلامية في الحكم هي هدفهم ومبتغاهم، ومن أهم تلك الدول مملكة مالي ومملكة "سنغاي" ومملكة "الكانم برنوا" وكذلك مملكة "سوقطو" التي أسسها "أل فودي" بحركتهم الجهادية، وهي في هذا المجال تختلف عن تلك الدول الصغيرة التي قامت في الشرق الإفريقي.[2]

كما أصبح للعرب المسلمين إمارات في سواحل القارة الشرقية لها اتصالات بالجماعات الإسلامية في شبة الجزيرة العربية وبالتجار والقبائل في القارة الإفريقية، وتتابعت الهجرات الإسلامية إلى شرق إفريقيا أو "بر الزنج" كما دعاه المسلمون فأنتشر أولا في بعض الجزر الساحلية مثل "مافيا" و"زنجار" و"بميا"، تم في المراكز الساحلية الشهيرة مثل سفالة على الساحل الموزامبيقي و"مالندي" و"مومباسا" على الساحل الكيني، و"كلوا دار السلام" على ساحل تانزانيا، وقد ازدهرت هذه المدن واختلط فيها العرب المسلمون بالأفارقة، وقد زار ابن بطوطة،[3] في القرن 14م "مقديشو" على الساحل الصومالي و"كلوا" و"مومباسا"، وشاهد ما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ومن حالة رخاء، فوصف

1- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 35.

2- **المرجع نفسه**، ص 37.

3- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد: رحالة ومؤرخ مسلم مشهور ولد في طنجة بالمغرب عام 703هـ- 1304م وقام بثلاث رحلات استغرقت زهاء 29 عاما زار خلالها الحجاز ومصر والشام والعراق وفاس واليمن والبحرين وإفريقيا الشرقية وأسيا الصغرى والقسطنطينية والقرم والهند والصين وأفغانستان، ثم رجع عن طريق جزيرة سومطرا في أندونيسيا، وعاد إلى المغرب ثم إلى غرناطة، قرر من بعدها غرب إفريقيا، له كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، رحلة ابن بطوطة، ترجم إلى عدة لغات توفي 779 هـ – 1377م. راجع: محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 32.

الشوارع المنظمة التي رآها وذكر أن للمنازل حدائق عناء ومنازل العرب مبنية هناك من حجارة والمونة والنوافذ خشبية مزينة بالنقوش المحفورة، وشاهد المساجد المزينة بالنقوش.

كما تكلم على اختلاط العرب السكان بالأفارقة، وعن هذا الطريق تعمق الإسلام "البانق" بل وتكونت سلطات عربية داخلية مثل السلطنة محمد بن محمد الرجي شرق الكونغو.[1]

أما إذا عدنا شمال القارة ففي عام 670م فتح عقبة بن نافع تونس وأنشأ مستعمرة عسكرية أسماها القيروان وفي عام 682م وصل هذا القائد إلى الشواطئ الأطلس، وما أن حل عام 688م حتى كان الشمال الإفريقي كله في قبضة المسلمين.[2]

أما عن غرب إفريقيا فيذكر الجغرافي الأندلس عبد الله البكري،[3] أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان،[4] في صدر الإسلام، واستقرت ذرية من هذا الجيش في بلاد غانة،[5] وحملوا الإسلام إلى أهلها، ثم جاء الإسلام بعد ذلك عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر، وهكذا بدأ الإسلام يتغلغل في غرب إفريقيا إلا أن دخل المرابطون مملكة غانة الوثنية في القرن 19 فأسلم سكانها على نطاق واسع. ويقول القلقشندي،[6] عن إسلام أهل غانة في هذه الفترة وكان أهلها أسلموا في الفتح،[7] وبذلك لم يظهر الإسلام مرة واحدة في إمبراطورية غانة وفي وقت قصير.[8]

1- جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي**، ط5، مكتبة العبيكان،الرياض، 1421 هـ، ص 650 -651 .

2- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، نفس المرجع السابق، ص 32.

3- البكري عبد الله: جغرافي ورحالة أندلسي ولد نحو 1009م في نواحي إشبيلية، توفي في قرطبة عام 1094م، له 12 مؤلفا منها كتاب المسالك وكتاب معجم، محمد فاضل وسعيد كردية، **المرجع السابق**، ص 32.

4- بلاد السودان نقصد بها العمق الإفريقي أو قلب إفريقيا.

5- البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، بغداد، مكتبة المثنى، د. ت، ص 179.

6- القلقشندي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي: ولد في قلق شندة قرب قليوب بمصر عام 1355م، وترجع شهرته في الجغرافيا إلى مصنفه الموسوعي الضخم صبح الأعشى في صناعة الأنشا الذي يشمل وصفا جغرافيا لنواحي مصر والشام والدول التي لها علاقة مصر مع التركيز على النظامين السياسي والإداري، توفي عام 1418م، أنظر فهرس الأعلام محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 25.

7- القلقشندي أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى** تع: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب، بيروت، 1987، ص 284 .

8- سانا صالح عبد الله، **مدخل قضايا المسلمين في غرب إفريقيا**، د م،القارئ العربي لتوثيق والإعلام والتأليف والتراث والنشر، د ت، ص 136-137 .

توالى من بعد هذا الفتح الإسلامي لغربي إفريقيا نشر الدعوة بشكل منظم أعطى نتائج مشرفة في تاريخ تلك المنطقة، إذ بعد أن تثبت وتعزز الإسلام فيها حدث من هناك وباتجاه الجنوب اختراق إسلامي قوي كان له الأثر الفعال في انتشار الدين الحنيف في تلك الأصقاع .[1]

أما عن ظاهرة الانتساب للأصول العرقية الإسلامية فنجد أن الأسرة الحاكمة قد اصطنعت لنفسها نسبا عربيا، فسلاطين مالي ادعوا الانتساب لعبد الله بن صالح بن الحسن بن علي ابن أبي طالب"، نفس النسب اتخذوه سلاطين سنغاي إلى الأيمن،[2] وغانا ينتسبون إلى النسب العلوي، والكانم-البرنو ادعوا نسبهم. إلا أن جدهم الأول هو "سيف بن ذي يزن"، ويقرر أحد ملوكها "عثمان بن إدريس " هذه الحقيقة في خطابه للسلطان برقوق (1382-1398م)، فيقول له: "نحن بنو سيف بن ذي يزن العربي القريشي، ضبطناه عن شيوخنا..."، وذكر ذلك "إبن السعيد" في كتاب الجغرافيا نقلا عن "ابن فاطمة " أن ملوك كانم من أبناء سيف،[3] بن ذي يزن منهم " محمد الجليل".[4]

وكما أكد باحثون على أصول العلاقة وان منبعها انتشار الإسلام بالمنطقة، فمنهم من يرجع منبعه من الشرق - عن طريق مصر وبلاد النوبة، ومنهم من يرجع منبعه لشمال إفريقيا أو غرب السودان، فتعددت المصادر التي تحدثت عن طريق انتشاره فإبن عبد الحكم يقول أنه دخل إلى الكانم عن طريق الفتوحات الإسلامية مشيرا إلى جهود عقبة بن نافع فيها جنوبا، حيث يذكر أنه إفتتح إقليم فزان ثم سألهم هل من ورائكم أحد.؟ فقالوا نعم أهل كوار فسار إليهم فافتتحها وسألهم ثانية هل من ورائكم أحد ؟ فقال الدليل ليس عندي معرفة، فأنصرف عقبة راجعا.[5]

فكانت من نتائج هذه الحملة هو انتشار الإسلام في إقليمين مهمين: فزان وكوار، وبما أن إقليم كوار تابع لكانم هذا يعني أن الإسلام انتشر في كانم، وهناك روايات تقول أن فتوحات عقبة "بن نافع الفهري" لم تقف في فزان إنما واصلت تقدمها إلى كانم- برنو ولم لها فتحها سنة 46 هجرية.

1- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 33.

2 - حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا أو الفكر العربي**، القاهرة، د.ت، ص 265 .

3 - أي أبناء سيف أو "ست" ويعتبر لديهم أول ابن لأدم عليه السلام: جوان جوزيف، **المرجع السابق**، ص 89.

4 - لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 39.

5 - **المرجع نفسه**، ص 41.

أما البكري يشير في كتابه "المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب" أن في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي جاءت هجرة عربية إلى "كانم" مبكرة قام بها نفر من بني أمية بعد محنتهم بين العباس وتعرضهم للاضطهاد ،فأستقر هؤلاء القوم في الأرض التي سميت فيما بعد بكانم، وتأثرت بالهجرة الأموية التي وصلت إلى هذه المنطقة، فأنتشر الإسلام بها على نطاق واسع.[1]

أما المؤرخ "تر منجهام" فيدلي برأي أخر في كتابه" الإسلام في السودان" أن الممالك الإسلامية في السودان الأوسط "كوادي" و"باغيرمي" و"كانم-برنو" و"الدارفور" قد أسسها الحاميين المختلطين بالعرب المهاجرين للمنطقة من دعاة للإسلام وتجار.

1- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 42.

المبحث الثاني

II	**نماذج من العلاقات الحفصية مع مملكة كانم.**
1.II	**في العلاقات السياسة والدبلوماسية.**
2.II	**في العلاقات الاقتصادية (المبادلات).**
أ/- ازدهار تجارة القوافل.	
ب/- أنواع المبادلات التجارية بين بلاد الدولة الحفصية ودولة الكانم.	
ت/- أهم مراكز التجارة بين الدولة الحفصية ودولة الكانم.	
3.II	**في العلاقات العقائدية والثقافية.**

II/- نماذج من العلاقات الحفصية مع مملكة كانم: تعددت الكثير من العلاقات الحفصية الإفريقية ومنها مملكة كانم، والتي توطدت بالتجارة والإسلام... ومن أهم هذه النماذج نجد:

1.II/- في السياسة والدبلوماسية:

قامت السلطة الكانمية في الحياة الإسلامية بنفس دور سلطنة مالي و"سنغاي" من حيث اتصالها بالبيئات والدول الإسلامية المجاورة تأكيدا لروح الأخوة الإسلامية. فقد سعى هؤلاء السلاطين إلى مواسم الحج، ومرورا بمصر شأنهم شأن السلطنات الأخرى، فالسلطان دونما سلطان كانم خرج حاجا ومر بمصر في طريق السفر و العودة و يقال أنه نزل بمصر في كل مرة ثلاثمائة من العبيد،[1] وقد أدهشت المصرين مواكب حجه و عظمته وقوته إلا أنه غرق في المرة الثالثة عند "عيذاب" في البحر.[2] وقيل أن سبب موته كان الخوف من أطماع و نجاح جيوشه في كثير من الغزوات.[3]

يذكر المقريزي على سبيل المثال أن كانم مملكة عظيمة، وأن غالبية شعبها يدين الإسلام،[4] وأن ملكها بدوى "رجال"، ولكنه إذا جلس سجد أهل دولته وانبطحوا على وجوههم،[5] وكانت عاصمة المملكة قرية صغيرة تسمى "نجيمي"،[6] ولكن أعمال الدولة كانت تدار من معسكر الرئيس أينما وجد، واستمرت الحال كذلك حتى أيام "دو نمه بن أوم"،[7] الذي جعل من كانم مملكة عظيمة، وقد يكون من الأفضل أن يعالج تاريخ كانم على أساس الفترات السبع المنفصلة التي يقع فيها، وهي :

1- محمود حسن أحمد، **المرجع السابق**، ص 259.

2 - طرخان إبراهيم علي، **إمبراطورية البرنو الإسلامية**، القاهرة، 1970، ص 84 .

3 - زكي عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 177.

4- ماد هو بانيكار، **المرجع السابق**، ص 179.

5 - **المرجع نفسه.**

6- نجيمي: لا تزال أطلالها قائمة، على بعد 35 ميل للشرق من بلدة ماو، ترد في الكتب العربية أيضا أنجمي وجيمي. "ومدينهم أنجمي ..." ابن سعيد، **حوليات إسلامية**، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ص 192.

7- دونمه بن أوم، الماي الثالث عشر في سلسلة مايات برنو، حكم في الفترة 1098 -1151. وخرج الحج ثلاث مرات مارا بالقاهرة، إلا أنه غرق في المرة الثالثة عند عيذاب في البحر. وفي عهده بنيت مدرسة ابن رشيق في فسطاط مصر. وبني في عهده أول مسجد معروف في برنو، ودونمه لقب "ابن الملك" في لغة الكانوري. وقد أورد المقريزي إسمه على نحو: "...وأول من أسلم من ملوكهم محمد بن جبل بن عبد الله بن عثمان بن محمد بن أمي". ابن سعيد، **حوليات إسلامية، المصدر السابق، م 15**، ص 192.

- البداية كدولة إمبراطورية تحت حكم دونمه بن أوم .

- القرنان الثاني عشر و الثالث عشر و هما عصر عظمة كانم .

- فترة الحروب الأهلية و الفتن الداخلية .

- حروب "البولالا".

- الفترة العظيمة "لبرنو".

- التدهور في القرن 18.

- ظهور الفولاني،إحياء سلطة كانم - برنو .

كانت كانم لأكثر من سبب أعظم الدول الزنجية بنظامها الإداري المحكم وجيشها المدرب باستخدام الأسلحة النارية، وبعلاقاتها الدبلوماسية ليس مع الدول الواقعة إلى الشرق فقط، و إنما إلى الشمال أيضا. فضلا عن ذلك استطاع حكام البرنو أن يدعو وهو ما لم يفعله حاكم أخر السودان، مما زاد من هيبتهم.[1]

وفي عهد "دونمه" هذا بني مدرسة ابن رشيق في فسطاط مصر، وتابع خلفاء "الماي دونمه" العمل في سبيل تأمين حدود الإمبراطورية وقمع الفتن والضرب على أيدي الخارجين وعبد الله بكر حفيد دونمه كان مشغولا طول أيام حكمه في محاربه "البولالا"، وفي عهد سالما بن بكر ظهر خطر "الصو"، وامتازت جيوشه بقوة فرسانه، مما مكنه من مكافحته هذا الخطر إما الماي دونمه بن سالم فقد كان محاربا قويا، فقد قاد أكثر من حملة لتوسع غربي بحيرة تشاد إلى بلاد الهوسا.[2]

وفي عهد الماي دونمه (1221-1259 م) وصلت الإمبراطورية السيفية ذروتها بسبب جهود الماي في توسع حدود مملكته التي وصلت إلى مشارف وادي النيل وغربا الأشراف على طريق القوافل التجارية الصحراوية المارة عبر فزان إلى الشمال الإفريقي.[3]

1- مادهو بانيكار، **المرجع السابق**، ص 170.

2- طرخان إبراهيم علي، **المرجع السابق**، ص 85 .

3- **المرجع نفسه**، ص 86 .

اعتاد سلاطين البرنو أن يشيروا إلى أنفسهم في محارمهم وفي كل مجال أخر باعتبارهم خلفاء. وكانوا في ذلك يحذون حذو أسرة الحفصين في تونس التي كانوا يقيمون معها علاقات دبلوماسية وثيقة،[1] "*وقال ابن سعيد... ويليهم الكانم وهم خلق عظيم والإسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمي ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فزان وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية منذ أولها..*".[2] و"*بها سلطان الكانم المشهور له بالجهاد وأفعال الخير وهو محمد بن جبل من ولد سيف دي يزن ... والثياب تحمل له من الحضرة التونسية*"،[3] والمعروف أن السلطات الحفصي في تونس المنتصر أبا عبد الله محمد (1249-1277) تلقب بأمر المؤمنين، وتأثر به مايات البرنو الذين كانو على علاقات طبية بأسرة الحفصين و اتخذوا هذا اللقب و تقول قوائم أنساب البرنو، تبريرا لإتخاذ ألقاب الخلافة، إن الخلافة انتقلت بعد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى برنو.

أما أخر الملوك العظام من "الأسرة السيفية" الذين حكوا في كانم وقبل أن تنتقل هذه الأسرة بإتجاه الغرب إلى برنو فكان الماي عثمان بن زينب (1279-1300م) وهو الماي التاسع عشر في سلسلة الملوك السيفين، وأهم ما يميز عصره الحروب الطاحنة من قبائل "التبو" أو "التدا" البربرية، كما أخذت قبائل "الكانوري" تهدد الحدود الشرقية الإمبراطورية كانم.[4]

وفي القرن الرابع عشر تعرضت "كانم" إلى صراع داخلي بسبب ثورات بعض القبائل، وبسبب خلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة، فقد ضعفت "كانم" نتيجة لذلك وأن أهم شيء أثر في حياة كانم هو ذلك الزحف العاتي الذي قامت به جماعات "البولالا" من الشمال الشرقي قبيل نهاية القرن 14 والتي إحتلت العاصمة "جيمي" وإستولت على السلطة الحقيقية.[5]

فقد سقطت الأسرة "السفية" الحاكمة في "كانم" أواخر القرن 14م بعد سلسلة طويلة من الكفاح ضد أبناء عمومتهم "البولالا" وإستقروا في "برنوا"، وبهذا ينتمي عصر السيادة "كانم" و يبدأ عصر السيادة برنو فيقول أحمد إبن فرتو مؤرخ بلاد برنو زمن "الماي إدريس الوما" حوالي (1602م)"

1- مادهو بانيكار، **المرجع السابق**، ص 180.

2- ابن سعيد، **المرجع السابق**، م 16، ص 164 .

3- **المرجع نفسه**، ص 165.

4- الشيخلي إبراهيم وعادل الألوسي، **تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق أسيا**، جامعة بغداد، 1987، ص 115.

5- شلبي أحمد، **التاريخ الإسلامي**، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1990م، ج1، ص 291 .

وقد أراد الله أن تحتل "كانم" قبيلة "البولالا" وسكان فترى وسكان "واداي"، وإستحال طردهم منها حتى عهد السلطان إدريس بن علي بن أحمد المتوفي حوالي 1526م.

ويذكر القلقشندي صورة من التقاليد المحلية الغير مألوفة لدى حكام كانم فذكر "أن ملك كانم لا يراه أحد إلا في يوم العيدين"، أما في سائر السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أمير الأمن وراء حجاب،[1] الأمر يدل على تأثر هؤلاء الملوك بالمألوف من حياة الطوارق الملثمين في الصحراء،[2] فهم يغطون وجوههم بلثام أو حجاب، لا يترك منه شيئا ظاهر سوى العينين، من هذا أعطاهم العرب إسم الملثمين ومعناها المحجبين.[3]

كما توطدت علاقة كانم مع الأسرة الحفصية في تونس وخاصة مع الخليفة المستحضر مؤسس الدولة الحفصية وإستمرت العلاقات قوية مع تبادل الهدايا واتصال الود بين ملوك كانم وبني حفص.[4] فقد إستعان أهل كانم بالحفصيين في تونس وإستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي.[5]

وقد كان "دونمه دباليمي"،[6] هو الشخصية العظيمة في تاريخ البرنو المبكر فقد قاد حملة إلى الجنوب، وغزا القبائل الوثنية، وفي الشمال امتد نفوذه إلى الصحراء الجنوبية بأسرها. وحتى بداية القرن 13 كانت دولة كانم السائدة، وبرنو مجرد إقليم طرفي، وكان مركز الإمبراطورية حوض التشاد، بيد أن حكام البرنو أدركوا مبكرا أهمية تأمين طرق التجارة، وكانت بلما هي مركز تجارتهم في الملح، وقد ضمنوا تأييد قبيلة التدا" بالصحراء وذلك بزواج ببنات رؤسائها.

1- القلقشندي، **المصدر السابق**، ج5، ص 74.

2- محمود حسن أحمد، **الإسلام والثقافة العربية** ، **المرجع السابق**، ص 264.

3- رياض زاهر، **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص 72.

4- الغنيمي عبد الفتاح مقلد، **حركة المد الإسلامية في غربي إفريقيا**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1980، ص 44.

5 - حسن حسين إبراهيم، **إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963، ص 13.

6- دونمه دياليمي، أحمد دونمه أو دمونه بن دابالا بن سالما "دابالا إسم أمه و سلما إسم أبيه"، الماي السابع عشر (1221 -1259م)، وهو الذي حطم المعبد الوثني المعروف بإسم "ميون" الذي كانت عبادته مازالت قائمة والذي لم يكن أحد من مايات البرنو السابقين يجرء على الاقتراب منه.

وهو تأييد له أهميته لأنه من غير التحكم في فزان لا يكون بإستطاعة كانم الاحتفاظ بعلاقات تجارية ودبلوماسية مع تونس، وهي علاقات ذات أهمية كبيرة لها. وكان "دونمه" الحاكم العظيم في المرحلة المبكرة لإمبراطورية "كانم برنو"، فقد قاد حملة ضد "قرمان زويلة" أيده فيها الحفصيون.

2.II/- في العلاقات الاقتصادية (المبادلات):

أ/- إزدهار تجارة القوافل: اعتبرت كانم أكبر دولة نشأت في منطقة المراعي بين نهري النيل والنيجر، وبالرغم من فقدانها مناجم الذهب التي كانت موجودة في غانة ومالي، فإن موقع كانم ضمن لها مصدرا من مصادر الثراء لسيطرتها على طرق التجارية للقوافل المتهجة شمالا إلى فزان في ليبيا ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط وشرقا إلى حوض نهر النيل.[1]

وكان لموقع منطقة بحيرة تشاد دورا مهما في جعلها صلة وصل بين الشمال والجنوب، فوقوعها على الطرف الجنوبي لصحراء جعلها منفذا لا غنى عنه لمنتجات الشمال المتهجة نحو أواسط إفريقيا، كما جعلها من جهة أخرى منفذا للبضائع الإفريقية المتجهة نحو الشمال، كما أن عدم وجود حدود ثابتة بين منطقة بحيرة تشاد ومنطقة فزان جعلها امتدادا لها حيث يذكر البكري إن كانم امتدت وراء صحراء أويله،[2] وقد أمنت هذه التجارة كما كان الحال في مالي وصنغاي نحو مملكة كانم كدولة قوية ومركزية في تلك المنطقة،[3] يضاف إلى ذلك أن طبعة المنطقة من حيث خلوها من العوائق الطبيعية كالصحراء أو الغابات أو المرتفعات أدت إلى تيسير النقلة منها وعليها، وساعدت على إستقرار كثير من المجموعات وإلى إستغلالها بالزراعة بجانب المجموعات التي استمرت على ممارسة الرعي.[4]

1- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، مكتبة النهضة المصرية، 1981-1982، مج 6، ص 138.

2- ابن حوقل أبو القاسم 358 هـ/ 968م، **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992، ص 24.

أيضا في تعريف "زويلة" انها مدينة صغيرة وبها أسواق ،ومنها يدخل إلى بلاد السودان، ويشرب أهلها من أبار عذبة، ولها نخل كثيرة، وتمرها حسن، والمسافرون يأتونها بأمتعة من جهازها وجمل من أمور يحتاجون إليها، والعرب تجول في أرضها. أنظر: الإدريسي، **نزهة المشتاق، المصدر السابق**، ص 313.

3- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 130.

4- طرخان ابراهيم علي، **المرجع السابق**، ص 18 .

وكما يؤكد ابن حوقل هذا التداخل بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد، حيث يقول عن بلاد السودان وحداله ينتهي إلى بريه وبين أرض المغرب،[1] فإبن حوقل هنا لم يضع حدودا ثابتة بين المنطقتين ويؤكد هذا البكري بقوله: "إن كانم امتدت وراء صحراء زويلة".[2]

وعن الحياة الاقتصادية في برنو أورد القلقشندي بعضا من المحاصيل التي تنتجها بلاد برنو فقال: وبلادهم - أي بلاد كانم وبرنو - قحط و شظف وسوء مزاج مستول عليها وغالب عيشهم الأرز والقمح والذرة، وببلادهم التين والليمون واللفت والباذنجان والرطب، إضافة للقطن والنخيل....

أثر انتشار الإسلام في المنطقة تأثيرا إيجابيا على النشاط التجاري من الشمال الصحراء وجنوبها بحكم أن الإسلام فتح أمامهم أبواب العالم الإسلامي، وباتصالهم بإخوانهم المسلمين كسبوا الكثير من المعارف منها فنون التجارة،[3] إلا أن العلاقة التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد سبقت وصول الإسلام إلى المنطقة بعدة قرون.[4] حيث حدثنا هيرودوت على خمسة من الشباب انطلقوا من منطقة سرت وإتجهوا جنوبا لاستكشاف وسط إفريقيا.[5] كما دلت رسوم العربات المنتشرة على الصخور والكهوف على طول القوافل القديمة من فزان إلى منطقة بحيرة تشاد على عراقة الصلات التجارية بين المنطقتين. فقد كان هناك طريقان يربطان شمال قارة إفريقيا بوسطها، أحدهما في الغرب ويخرج من جنوب المنطقة (مراكش) فيما بعد ويصل إلى منطقة النيجر الأعلى، ويخرج الأخر من فزان حتى يصل إلى الجانب شرقي من أنحاءه نهر النيجر.[6] **(ملحق 05-06-07).**

---

1 ابن حوقل أبو القاسم ، **المصدر السابق**، ص 24 .

2 البكري، **المصدر السابق**، ص 11.

3 القلقشندي: ولد في قرية قلقشندة بمحافظة القليوبية سنة (756هـ/1355 م). درس في القاهرة والإسكندرية، برع في الأدب والفقه الشافعي وذاع صيته في البلاغة الإنشاء، مما لفت إليه أنظار رجال البلاط الملوكي فالتحق بديوان الإنشاء في عهد السلطان الظاهر برقوق سنة (791هـ)، ألف كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء هو كتاب يتكون من 14 جزء نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب.

4- طرخان ابراهيم علي، **المرجع السابق**، ص 164 .

5- بوفيل، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر: الهادي أبو لقمه ومحمد عزيز ، بنغازي، 1988، ص 147.

6- أمين الطيبي، **أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط**، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1998، ص 72.

غير أن سيطرة برنو على الطرق التجارية المارة بها أفادها كثيرا من حركة التجارية العالمية، فبالرغم من خلو البلاد من الذهب كما كان في غانة ومالي وسنغاي إلا أن السيطرة على الطرق التجارية أمن لبرنو مداخيل وعائدات لا بأس بها مكنتها من الإستمرارية في الحياة.[1]

استمرت العلاقات التجارية بين مناطق الساحل ومناطق وسط إفريقيا بعد قدوم الفنيقين للمنطقة وبناء المدن الثلاث لبدة -أوبا - صبراتة،[2] وعلى الرغم من أن الفنيقين لم يتوغلوا في الداخل إلا أن هذه المدن أصبحت منافذ للتجارة الإفريقية التي كان السكان المحليون يجلبونها من إفريقيا عن طريق القوافل وأكبر دليل على ما نقول هو أن طرابلس كان يطلق عليها إسم بوابة الصحراء.[3]

وقد كان لقيام دولة قرطاجة في شمال إفريقيا قديما أن ازدهرت تجارتها مع بلاد السودان،[4] وكانت أبرز البضائع التي جلبت من السودان الرقيق والذهب،[5] وحتى سنة 500 ق.م كان تجار قرطاجة يفدون لتجارة مع سكان تيبستى الذين يعيشون في بلاد ممطرة كثيرة التسامح والزواحف،[6] وهذه الصفات المناخية تنطبق إلى حد كبير على منطقة بحيرة تشاد فمن المعروف أن التماسيح لا تعيش إلا قرب البحيرات والأنهار ما يدل على وصول التجارة القرطاجية إلى منطقة بحيرة تشاد.

ومن السلع الهامة التي صدرتها برنو الرقيق لاستبدالهم بالخيول، ولم تدر على برنو الثراء بالدرجة التي ظفرت بها دول السودان الغربي من تجارة الذهب،[7] وظهر عامل مهم أسهم في إزدهار تجارة الشمال والجنوب وهو دخول الجمل مجال النقل التجاري في القرن 14،[8] وهو الحيوان الملائم

1- بوفيل، **المرجع السابق**، ص 48 .

2- فيج جي دى، **تاريخ غرب إفريقيا**، تر: السيد يوسف، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 45.

3- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 129.

4 - أسس الفنيقيون هذه المدن كمستعمرات تجارية تقف عندها سفنهم خلال تحركاتهم في حوض المتوسط.

5- بوفيل، **المرجع السابق**، ص 57.

6- هو بكينز، **التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية**، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الثقافي، القاهرة، 1998، ص 158.

7- فيج جي دي، **المرجع السابق**، ص 43.

8- بوفيل، **المرجع السابق**، ص 79.

لجفاف المنطقة وصعوبة الترحال فيها،[1] واقتصار وجود الماء على الواحات العاثرة في الصحراء مما جعل الضرورة ملحة إلى وجود وسيلة نقل تتحمل العطش لمسافات طويلة.

وقد استمرت الحركة التجارية مزدهرة بعد دخول المسلمين إلى بلاد المغرب، حيث كان من نتائج وصول الإسلام إلى المنطقة إنتشار الأمن مما أدى إلى إزدهار حركة القوافل بين الشمال الصحراء وجنوبها، كما أصبحت هذه القوافل تحمل إلى جانب بضائعها دينا جديدا سرعان ما انتشر في بلاد الكانم والبرنو وأسهم في خلق رابط روحي بين السكان بلاد الكانم وبلاد المغرب وانعكس هذا الرابط بالتأكيد بشكل إيجابي على العلاقات التجارية بين الطرفين.[2]

وكان سكان برنو يحصلون على الرق إما عن طريق الأسر في الحروب أو بالإغارة على المناطق الوثنية حولها ولاسيما من ناحية الجنوب، وهناك المنتجات الإفريقية الأخرى التي صدرتها برنو وأهمها الجلود وريش النعام والعاج، كذلك كانت تصدر برنو الثياب والمنسوجات التي كانت تستخدم كعملة، وتعامل البرنيون كذلك بالودع والخرز والنحاس والورق، وبالإضافة إلى صناعة المنسوجات كان هناك صناعات أخرى اشتهرت بها البرنو وهي صناعة الأسلحة من الحديد، والراجح أن صناعة الحديد وصلت هناك من مصر كما وصلت طريقة بناء القوارب.[3]

كما كان للموقع الجغرافي دورا كبيرا في تحديد مسارات القوافل التجارية عبر الصحراء حيث ارتبطت دولة الكانم والبرنو بحكم موقعها المتاخم للمغرب الأدنى من مناطق شمال الصحراء لشبكة طرق تجارية منذ عصور قديمة. **(ملحق07)** وبعد دخول الإسلام لشمال إفريقيا رأينا كيف عقبة بن نافع في حملته على كاوار سلك نفس الطريق تقريبا، كما أن اتساع الصحراء وقلة المياه بها.[4] قد حتم وجود مسالك معينة للقوافل التجارية بين بلاد المغرب ومنطقة بحيرة تشاد، حيث يقول الأصطخري وليس لها اتصال بشيء من الممالك والمعمار إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك.[5]

وكانت هذه التجارة تحمل على عدة طرق تعتبر من أهم الطرق العظمى في العالم وهي:

1- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 129.

2- عبد اللطيف البرغوثي، **التاريخ الليبي القديم، دار** صادر، بيروت، 1971، ص 319 .

3- فيج جي دي، **المرجع السابق**، ص 42.

4- كانت التجارة من أبرز الوسائل التي انتقل عن طريقها الإسلام في المناطق مختلفة لم تصلها الجيوش الإسلامية.

5- ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص 100.

- طرق القوافل بين طرابلس ودولة الكانم:

فوقوع طرابلس على البحر من جهة و توغل الأراضي التابعة لها نحو الداخل بحيث تلامس حدودها الجنوبية أراضي بلدان الصحراء الكبرى،[1] ولأن ساحل البحر المتوسط في منطقة سرت يعرج إلى الداخل مما أسهم في تقريب المسافة بين هذه البلاد ووسط إفريقيا، خاصة إذا تمت مقارنة هذا الساحل بسواحل المغرب الأدنى أو الأقصى التي تبعد كثيرا نحو الشمال عن أواسط إفريقيا.[2] فكان هذا من عوامل إزدهار العلاقات التجارية بين طرابلس وبلاد الكانم والبرنو.

اختلاط العناصر السكانية في المنطقتين حيث رأينا أن الكثير من القبائل التي استقرت في المنطقة بحيرة تشاد قد جاءت أصولها الأولى من الشمال،[3] كما أن الكثير من قبائل بحيرة تشاد قد استقرت من منطقة فزان.[4]

ولاشك أن اختلاط العناصر السكانية قد أسهم في زيادة التبادل التجاري بين المنطقتين، ووقوع واحات فزان في موقع متوسط بين الساحل ومنطقة بحيرة تشاد مما جعلها محطات طبيعية تزود القوافل بما تحتاجه من ماء وزاد،[5] وكذلك عدم وجود حواجز طبيعية تفصل بين منطقة طرابلس ومنطقة بحيرة تشاد كالجبال العالية أو الأنهار. والجبال الوحيدة التي تقع بين المنطقتين وهي جبال تيستى كانت توجد ممرات كثيرة واسعة مستوية بينهما.[6]

لهذه الأسباب نشطت تجارة القوافل بين طرابلس ودولة كانم وبرنو ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- طريق: سرت-مرزق- زويله- كاوار،[7] وهذا الطريق يتجه من منطقة سرت ذات الموقع المتوسط بين غرب ليبيا وشرقها ويمر في خط شبه مستقيم بالمناطق التي ذكرناها حتى يصل إلى "كاوار". ومن

1- إبراهيم محمد الأصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر ، بيروت، د ت، ص 40.

2- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 129.

3- للعامل الجغرافي تأثير على العلاقات الإقتصادية فمثل هذه الوضعية الجغرافية قد أسهمت في إزدهار تجارة المغرب الأقصى والأوسط مع أوربا .

4- السعيدي عبد الرحمان بن عبد الله، ت 1066هـ، **تاريخ السودان**، نشر هوداس، باريس، 1998، ص 26.

5- ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص 100.

6- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 129.

7 اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، ت 284هـ، **البلدان**، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، 1988، ص 103.

الطبيعي يحكم تداخل بلاد كاوار مع دولة الكانم و البرنو أن يستمر هذا الطريق عبر جبال تيستى حتى يصل منطقة بحيرة تشاد.[1]

- طريق: طرابلس - سبها - زويلة - بلما بحيرة تشاد، [2] بمرور بالكثير من المناطق مثل بني وليد،[3] وأبو نجيم ووديان حتى يصل سبها ثم يواصل طريقه إلى جبال تيبستى حتى يصل إلى منطقة بحيرة تشاد.[4]

- طريق: طرابلس - غدامس - غات - مرزق - تادمكه- بحيرة تشاد.[5] هناك طريق داخلي يربط هذا الطريق بمرزق، ويتميز هذا الطريق بالربط بين دولة الكانم ومناطق المغرب الأدنى والأوسط بحكم وقوع غدامس وغات في الجهة الغربية من تلك المناطق. **(ملحق 06).**

- طريق: بنغازي - الكفرة - أبشه - واداي - وهذا الطريق يصل إلى المناطق الواقعة إلى الشرق من بحيرة تشاد. ولكن هذه المناطق كانت في كثير من الأحيان تقع ضمن نفوذ دولة الكانم والبرنو .

هذه الطرق ربطت منطقة بحيرة تشاد وإقليم طرابلس، وإن لم تبق ثابتة لدواعي أمنية أن دفعت القوافل لتغير مسالكها مؤقتا، لكن الاتجاهات بقيت ثابتة.[6] من الشمال للجنوب وبالعكس.[7]

<u>- طرق القوافل بين الكانم والبرنو والمغرب الأدنى:</u>

إن العلاقات التجارية بين الكانم والبرنو والمغرب الأدنى فلم تكن بنفس درجة الازدهار مع طرابلس، وترجع عوامل الضعف لهذه المنطقة إلى الموقع الجغرافي فموقع بحيرة تشاد كامتداد طبيعي لمنطقة طرابلس وقران أسهم في نمو التبادل التجاري بين الطرفين وجعل سكان الواحات الليبية

---

1 البكري، **المصدر السابق**، ص 12.

2- توجد بها عديد الشواهد الأثرية كالأسواق، والقصور، من عهد الرومان، تدل أنها معبرا للقوافل منذ القدم.

3- سلفا دور بونو، **تجارة طرابلس عبر الصحراء**، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات جهاد الليبين، العدد 01، يناير 1981، ص 83.

4- البكري، **المصدر السابق**، ص 10.

5- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1984، ص 30.

6- أحمد إلياس حسين، **الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى في مستهل القرن 16 كما عرضها الجغرافيون العرب**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة،1977، ص 28-34.

7- عز الدين عمر موسى، **طريق عبر الصحراء الليبية من المغرب الأقصى إلى مصر**، مجلة البحوث التاريخية، عدد01، يناير، 1983، ص 110.

يتحكمون في طرق القوافل التجارية، ومن جهة أخرى فإن ظهور الإباضية وسيطرتهم على جل نفوسة والمناطق المتاخمة له من الجنوب قد جعلهم يسيطرون على طرق القوافل مع الكانم والبرنو.

وكان الإباضية يختلفون مع الدولة الحفصية ويخوضون ضدها صراعا فكريا، لذلك أُصدر علماء المالكية بالقيروان فتوى تجعل التجارة مع بلاد السودان مكسبا غير طيب،[1] وذلك بهدف إضعاف القوة الاقتصادية للاباضية التي تعتمد على تجارة القوافل مع السودان. وهذا لا يعني توقف تجارة القوافل بين الحفصين ودولة الكانم والبرنو، إذ عرف طريق للقوافل يبدأ من تونس ويمر بغدامس ثم غات ثم مرزق حتى يصل بحيرة تشاد،[2] ولكن العلاقة التجارية بين المغرب الأدنى والأقصى وبين السودان الغربي قد أثر بلا شك على اقتصاد الكانم والبرنو.

وكانت تختار القوافل بداية سيرها فصل الشتاء تجنبا لحرارة الصيف، وكان رجال القافلة يضعون الأحمال على الجمال في الصباح الباكر ويغدون في سيرهم للظهيرة حيث تتوقف القافلة للراحة ثم تواصل سيرها مساءا إلى أن يغشاها الظلام فتوقف للمبيت، ويختلف عدد جمال القافلة فقد تصل لمئات،[3] وكان التجار يحرصون على الخروج في القوافل الكبيرة خوفا من قطاع الطرق.

ب/- أنواع المبادلات التجارية بين بلاد الدولة الحفصية ودولة الكانم:

- **الملح**: يعد الملح بالنسبة لسودانين من أهم السلع و لا تقل أهمية عن الذهب بالنسبة للمغاربة،[4] كذلك إشتهرت منطقة تفازة كمصدر للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان. وقد وصف لنا ابن بطوطة كيفية استخراج الملح فكان يحفز عليه في الأرض فتوجد منه ألواح متراكمة كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض يحمل الجمل منه لوحين[5]، ويرى بعض الباحثين أن الملح كان أهم من الذهب بالنسبة للأفارقة و ربما ترجع أهمية الملح بالنسبة للسودانين لقيمته الغذائية.

1- البكري، **المصدر السابق**، ص 10.

2- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 107.

3- محمد زنيبر، **تجارة القوافل في المغرب، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19**، معهد البحوث العربية، بغداد، 1984، ص 182.

4- **المرجع نفسه**، ص 181.

5- محمد بن صالح القيرواني، **تكميل الصلحاء، ولأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان**، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1970، ص 304.

ونظرا لأن هذه المادة معدومة في السودان فإنهم كانوا يستبدلونه بوزنه ذهبا بل صار الملح في بعض الأحيان عملة شرائية حيث كانوا يقطعونه قطعا ويبايعون به،[1] ومن المناطق التي كان يستخرج منها الملح أيضا "كاوار" وخاصة مدينة "بلما"،[2] التي استفاد أهلها من تصدير هذه المادة الثمينة مستغلين وقوع مدينتهم على طريق القوافل المتجهة إلى بحيرة تشاد ولكن يبدو أن الملح كان سلطة نادرة يدفع ثمنها ذهبا في بلاد السودان، ولعل سبب ارتفاع سعر الملح في منطقة السودان الأوسط يعود إلى أغلب مصادره تقع في بلاد المغرب الأقصى مما تعذر وصوله مباشرة إلى السودان الأوسط وزاد من سعره حتى أصبح ثملا يصل إلى ما يعادل ثلاثمائة دينار.[3]

- **الأسلحة والخيول** :الأسلحة فقد كان مايات الكانم والبرنو يحرصون على امتلاك الأسلحة النارية التي كان مصدرها الوحيد في ذلك الوقت بلاد المغرب وقد أرسل إدريس ألو ما بسفارة إلى السلطان العثماني مراد على أهل الحصول على الأسلحة النارية لجيشه، وقد حصل إدريس على بعض الأسلحة عن طريق تجار القوافل من طرابلس[4]، أما بالنسبة للخيول من أبرز ما حرص مايات الكانم والبرنو على الحصول عليه من بلاد المغرب و ذلك لحاجاتهم لها في جيوشهم. **(ملحق 09).**

ومما يؤكد اعتماد هؤلاء المايات على الخيول أن عددها وصل في جيش دونمه دباليمي 618-657 هـ/ 1221- 1258م لمائة ألف فرس،[5] وهذه الأعداد الكبيرة قد جاء أغلبها عن طريق الشراف من بلاد المغرب، لأن خيول بلاد الكانم والبرنو صغيرة الحجم وبطيئة الحركة، فكان حكام الكانم والبرنو يفضلون مبادلة الخيول بالرقيق بدل الذهب.[6] وهذا بسبب قلة الذهب في دولة الكانم والبرنو مقارنة مقارنة بممالك السودان الغربي، حيث كان الحصان الجيد يساوي ما بين 15 إلى 20 عبدا.

1- اليعقوبي، **البلدان، المصدر السابق**، ص 102.

2- ابن بطوطة، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت، ص 693.

3- اليعقوبي، **البلدان، المصدر السابق**، ص 102.

4- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 22.

5- **المصدر نفسه**، ص 118.

6- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 711.

- **أدوات الزينة والملابس**: أدوات الزينة كانت تشمل الحلي، وهي عبارة عن حبات تستعمل كعقود لنساء وكذلك العطور التي كان يعجبهم منها القرنفل والمصطكى،[1] وكذلك الزجاج والفخار والتحف تمثل بعض السلع التي تصل عن طريق التجارة إلى بلاد الكانم وكان من بين السلع التي تستوردها بلاد الكانم والبرنو من المغرب الملابس المجلوبة من تونس على وجه الخصوص محل إعجاب وقبول دولة الكانم والبرنو ،ففي عهد دونمه دباليمي كانت الثياب تحمل إليه من الحضرة التونسية، وخاصة مدينة سوسة،[2] وبشكل عام فالبضائع التي رغبها الناس بكانم ويقدرونها هي التي تستجلب من تونس.

- **تجارة الرقيق**: من السلع السودانية التي كان مصدرها منطقة بحيرة تشاد والمناطق المتاخمة لها من الجنوب، حيث هاجم مايات الكانم والبرنو المناطق المجاورة لهم من الجنوب للحصول على الرقيق، وقد وصف سكان هذه المناطق بأنها من أكثر الناس نسلا،[3] فكان التجار يبقون في البرنو مدة قد تصل شهورا للغارات التي تقوم به المايات جنوبا لجلب أعداد من الأسرى بغرض بيعهم لهؤلاء التجار.[4]

وقد اشتهرت أويلة بأنها مركز لتجميع الرقيق ثم بيعهم إلى مناطق الشمال حيث ذكر اليعقوبي أن التجار البربر كانوا يجلبون إلى زويله عاصمة فزان عديدا من الرقيق الأسود،[5] حيث اشتهرت بجواريها الحسان وفتيانها الأقوياء،[6] وهؤلاء الأقوياء كانوا من غير المسلمين، حيث أن تجارة الرقيق بالنسبة لدولة الكانم والبرنو كانت أحد مواردها الاقتصادية وعوضت بهذه التجارة نقص الذهب بأراضيها مقارنة بممالك السودان الغربي التي اعتمدت على الذهب كسلعة رئيسية في المبادلات التجارية مع الشمال، ولكن مهما بلغت قيمة تجارة الرقيق فإن كانم كانت تدين برخائها إلى غلاتها الزراعية وإلى تربية الحيوانات أكثر مما يرجع إلى مواردها الناتجة عن تجارة العبيد.[7]

1- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 711.

2- بوفيل، **المرجع السابق**، ص 105.

3- محمد بن أبي بكر البرتلي، **فتح الشكور في تراجم علماء التكرور**، تح: الهادي المبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2002، ص 140.

4- ماريون جونسون، **تجارة ريش النعام**، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات جهاد الليبين، طرابلس، عدد 1 يناير 1981، ص 133.

5- امين الطيبي، **المرجع السابق**، ص 125.

6- القزويني زكريا بن محمد، ت 682 هـ، **أثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د ت، ص 57 .

7- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 711.

وهذا ما أكد أن دولة الكانم والبرنو لم تكن تجارتها مقتصرة على الرقيق فقط.

- **تجارة العاج والجلود:** العاج من السلع التي كانت دولة الكانم تصدرها إلى الشمال، حيث ذكر بوفيل أن التجار كانوا يقيمون في ولاته لجمع العاج من سائر أقاليم السودان ويصدرونه إلى المغرب ثم إلى أوروبا،[1] وكذلك ريش النعام الذي كان يستعمل كمراوح وأغطية للرأس، وقد شهدت هذه السلعة رواجا كبير في أوروبا،[2] أما بالنسبة للجلود كانت ذات قيمة صناعية كبيرة في ذلك الوقت، حيث صنعت منه الأحذية وقرب المياه والسيور وسياط وألجمة الخيل، وكانت الجلود الخام تصدر إلى عدد من الواحات الليبية وبعد ذلك يتم دبغها وتصنيعها، وقد اشتهرت مدينة أويلة بتصنيع هذه الجلود، كما عرفت الجلود الغدامسية في أنحاء المنطقة في ذلك الوقت بل وصلت شهرتها إلى أوروبا، حيث كانت الغدامسيون يقومون بدبغ الجلود بنقعها في الشب والملح.[3]

وقد وصفها القزويني بأنها من أجود أنواع الدباغ ولا شيء يفوقها في الجودة وكأنها ثياب الخز في النعومة والإشراف.[4]

هذه أبرز السلع التي كانت دولة الكانم والبرنو تصدرها إلى بلاد المغرب مقابل ما تحصل عليه من سلع قادمة من بلاد المغرب،[5] وعرف الكانميون التعامل بالودع و الخرز كنوع من أنواع العملة، وكان الردع يجلب من المحيط الهندي على أيدي التجار العرب ثم ينقل إلى أواسط إفريقيا ،و يذكر الوزان أن أربعمائة ودعة تعامل أو قيمة من الذهب،[6] وظل الودع عملة معترف بها حتى القرن 19، وكما كان عندهم نوع من القماش عرف بإسم "دندي" حيث كان ينسج عندهم على شكل أثواب ويقسم إلى قطع من ربع ذراع فأكثر، وكانت جميع الأشياء تقدر قيمتها بسم هذا القماش،[7] بمعنى أن

1- البكري، **المصدر السابق**، ص 11.

2- الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن 16م، تجارة القوافل ودروها الحضاري حتى نهاية القرن 19**، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص 80.

3- الوزان الحسن، **المصدر السابق**، ص 146.

4- محمد سليمان أيوب، **جرمة في عصر ازدهارها ليبيا في التاريخ**، بنغازي، 1968.ص 192.

5- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 80.

6- الوزان الحسن، **المصدر السابق**، ص 146.

7- البكري، **المصدر السابق**، ص 10.

هذا القماش قد استخدم كنوع من أنواع العملة في دولة الكانم والبرنو وكذلك يذكر القلقشندى أن أهل الكانم قد استعملوا قطع النحاس المسكوك كعملة.[1]

وفي الأخير نقول أن الكانميون أغلب أنواع التعامل التجاري كانت سائدة في ممالك السودان، وعوضوا ما كان ينقصهم ألا وهو الذهب في بلادهم بسلع أخرى تحصلوا من خلال تصديرها على ثروات إزدهرت من خلالها تجارتهم وإقتصادهم في البلاد.

ت/- أهم مراكز التجارة بين الدولة الحفصية ودولة الكانم:

كان من الطبيعي أن تجد القوافل التجارية بعض المراكز التي تستريح فيها و تزود بالماء والزاد لمواصلة رحلتها الطويلة،[2] فلم تكن الصحراء يوما ما فاصلا بين بلاد المغرب ومناطق السودان بل كانت جسرا بين شمالها وجنوبها، والصحراء لم تكن كما وصفها البعض بأرض الجدب والفقر، وليس فيها إلا مفازات جافة رمليه غير صالحة للسكن غالبا،[3] فقد اشتهرت بعض مدن الصحراء كمراكز اتصال بين شمالها وجنوبها وكمحطات تجارية أمتهن أهلها التجارة واستفادوا من القوافل المارة بمدنهم، وكان من أعمال أهل هذه المدن حراسة القوافل وتأجير أو بيع الجمال لتجار،[4] فكانت من أبرز المدن التي إشتهرت كمحطات تجارية تمر بها القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم هي:

- **غدامس:** كانت هناك محطات تفرغ فيها القوافل قبل أن تأخذها قوافل أصفر لتوزيعها في الاتجاهات المختلفة، وهي في الوقت نفسه مكان تجمع القوافل المتجهة نحو الجنوب قبل الرحيل حيث يمكن شراء المؤن وتأجير الحراس والمرشدين وشراء الإبل اللازمة لرحلة وهذه تمثلها مدينة غدامس،[5] التي تقع على مسافة 500 كلم إلى الجنوب الغربي من طرابلس.

وتتمتع بموقع غدامس بموقع إستراتيجي جعلها مركزا تجاريا منذ العهد الروماني،[6] وفي العهد الإسلامي لعبت غدامس دورا هاما في تسهيل مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب خاصة

1- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 10.

2- محمد زنبير، **المرجع السابق**، ص 182.

3- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 80.

4- محمد سليمان أيوب، **المرجع السابق**، ص 192.

5- الوزان الحسن، **المصدر السابق**، ص 146.

6- زكريا بن محمد القزوني، **المصدر السابق**، ص 57.

وأنها تقع في مفترق الطرق التجارية، فالوزان يصنفها بأنها منطقة كبيرة مسكونة حيث القصور العديدة والقرى المأهولة،[1] مؤكدا الدور التجاري للمدينة وتأثيره على إقتصادها بقوله سكانها أغنياء لهم بساتين نخل وأموال لأنهم يتجرون مع بلاد السودان.[2] أما القزوني فإنه يتحدث عن الجلود الغدامسية ويصفها بأنها من أجود أنواع لا شيء يقوفها في الجودة،[3] حيث ارتبطت "غدامس" تجاريا بمدينة "تنبكتو" و"جاوه" و"أقدر" فصارت محطة مهمة في بداية الطريق عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى السودان،[4] بينما يتجه بعضها الأخر إلى "أغاديس" ثم إلى "الكانم" ويتجه بعضها إلى "مرزق" ومنها إلى "بلما" ثم "بورنو".[5]

كذلك مما يدل على اهتمام أهل "غدامس" مركز تجمع القوافل القادمة من طرابلس تونس ثم تتفرع منها الطرق حيث يتجه بعضها إلى بلاد "تادكما" وغيرها من بلاد السودان،[6] ولم يكن دور غدامس مقتصرا على اعتبارها محطة لطرق القوافل بل كان أهلها تجارا يسيرون بعض القوافل لحسابهم، وقد رافق ابن بطوطة كثيرا الغدامسين من "كوكو" على نهر النيجر إلى تكدا.

وهكذا كانت حلقة وصل بين الساحل والسودان والمغرب الأدنى والسودان وهذا ما يساعد على تطور العلاقات التجارية على أرضها و علاقات الخارجية.

- **غات** :تقع في الجهة الغربية من إقليم طرابلس وترتبط مع الشمال بغدامس، وقد لعبت غات نفس الدور الذي لعبته مدينة غدامس كحلقة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب يحكم موقعها، القريب من المغرب الأدنى والمغرب الأوسط مما جعلها من المراكز التجارية المهمة التي تلتقى فيها طرق القوافل،[7] ومن جهة أخرى فإن موقع مدينة غات في منتصف المسافة تقريبا بين طرابلس ومناطق

1- محمد بن أبي بكر البرتلي، **المصدر السابق**، ص 16.

2- محمد بن عبد المنعم الحميري، **المصدر السابق**، ص 427 .

3- الهادي الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء**، الدار المصرية، 1998، ص 297.

4- محمد بن عبد الله بن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 709.

5- محي بو عزيز، **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى**، ندوة تجارة القوافل ودورها الحضاري في نهاية ق 19، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984، ص 131.

6 - **المرجع نفسه**، ص 132.

7- الأصطخري، **المصدر السابق**، ص 30.

بحيرة تشاد ونهر النيجر قد جعلها محطة مهمة لطرق القوافل للاستراحة والتزود بالماء والزاد فإن كانت المسافة بين طرابلس وكانوا تقطعها القوافل في 125 يوما فإن المسافة بين "طرابلس" و"غات" تقطعها في 55 يوما.[1] كما ساعد على نجاح مهمة "غات" كحلقة وصل أن قبائل الطوارق حرصوا على سلامة القوافل التجارية المارة بمناطقهم لارتباط مصادر عيشتهم بتجارة هذه القوافل.

- **زويلة**: تقع المدينة في الجنوب الشرقي من سبها وتبعد عنها بحوالي 170 كلم[2] وقد لعب موقع زويلة المتوسط دورا كبيرا في إزدهار تجارة القوافل بين الشمال والجنوب، وقد عبر الأصطخري عن هذا الدول بقوله "*وأما زويلة فإنها من حد المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة وهي متاخمة لأرض السودان.*"[3] ويؤكد الحموى هذا الموقع المتوسط بقوله: "*تقع زويله مقابل أجدابيا في البربين بلاد السودان وإفريقيا وهي أول حدود السودان*".[4]

ففي الإشارتين من المصادر ما يؤكد أن زويلة متاخمة لبلاد الكانم والبرنو مما منحها مكانة تجارية كبيرة باعتبارها أولى حلقات الاتصال بين الكانم والبرنو وشمال إفريقيا، ويعد الطريق المار من زويلة لبلاد السودان من أقدم الطرق التي ربطت شمال الصحراء بجنوبها، حيث أشار اليعقوبي في فترة مبكرة لهذا الطريق الذي يخرج من "سرت" إلى "ودان" ثم "زويلة" حتى يصل إلى "كاوار"، مناطق بعيدة عن إفريقيا حيث ذكر اليعقوبي أن بها أخلاط من أهل فرسان والبصرة والكوفة.[5]

ولا شك أن ما جلب هذه العناصر لمنطقة وسط الصحراء لم يكن سوى التجارة، وبذلك أصبحت زويلة مركزا التجار العرب، ووجد فيها الإباضة مكانا مناسبا للسيطرة على تجارة القوافل،[6] كما اشتهرت زويلة بسيطرتها على تجارة الرقيق وتجارة الجلود، حتى اشتهرت بالجلود الزويلية.[7]

1- الحموي، **المصدر السابق**، ص 160.

2- اليعقوبي، **البلدان**، **المصدر السابق**، ص 102.

3- الأمين الطيبي، **المرجع السابق**، ص 124.

4- الحموي، **المصدر السابق**، ص 90.

5- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 117.

6- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 84.

7- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 687 .

- **مرزق**: تقع المدينة إلى الجنوب الغربي من سبها و تبعد عنها بحوالي 180 كلم.[1] وقد ساعدها موقعها المتوسط على أن تكون إحدى المحطات الرئيسية في طرق القوافل، حيث كان يمر بها فرع من الطريق الذي يبدأ من تونس إلى غدامس وعند وصوله إلى مدينة غات يتجه فرع منه إلى مرزق، لقد تمتعت "مرزق" ببعض الاستقرار السياسي في عهد أولاد محمد،[2] حيث انتعشت الحياة الاقتصادية وازدهرت تجارة القوافل، وأصبحت مرزق مصدرا لتصدير الحبوب، كما إمتلأت أسواقها بالمنتوجات الحريرية والأسلحة والزجاج والعطور كما نشطت تجارة الرقيق.

ويرى بارث أن صلة مرزق بالسودان الغربي عن طريق غدامس وتوات أكثر من صلتها بإقليم برنو، وقد اعتمد في هذا الرأي على وقوع "مرزق" بالجانب الجنوبي الغربي من إقليم فزان وإرتباطها بمدينة "غات" الواقعة قريبا من مناطق المغرب الأدنى والأوسط. ويرى الباحث أن صلة "مرزق" بدولة الكانم والبرنو لا تقل عن صلتها بالسودان الغربي بحكم موقعها المتوسط الذي يمر به طرق القوافل من طرق القوافل من طرابلس إلى منطقة بحيرة تشاد.

- **بلما**: أبرز المحطات التجارية على طرق القوافل بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو، وهناك بعض المحطات الثانوية التي لا تمر بها القوافل إلا مرورا عابر مثل ودان وسوكنه وسبها وغيرها من المحطات الصغيرة، بلما هي عاصمة إقليم كاوار الذي يقع بين منطقة فزات وبين منطقة بحيرة تشاد، وتعد هذه المدينة إحدى المحطات التجارية التي تمر بها القوافل،[3] فوقوعها على الطريق الذي يبدأ من طرابلس وينتهي عند دولة الكانم قد أكسبها أهمية تجارية أدت إلى ازدهار هذه المدينة إلى وصف الحموي سكانها بأنهم يلبسون ثياب الصوف، وفي بلادهم أسواق ومياه جاريه ونخيل كثيرة.[4]

وقد أكد الإدريسي مرور الطريق التجارية إلى بلاد الكانم بمنطقة كاوار في تجارة القوافل بالإنتاج سلعة مشهورة هي الشب الكاواري الذي يصفه الإدريسي بأنه في نهاية الجودة وهو كثير الوجود، ويتجهز به في كل سنة سائر البلاد بما لا يحمي كثرة.[5]

1- ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص 98.

2- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص 98.

3- ديرك لانجي، **المرجع السابق**، ص 257.

4- الحموي، **المصدر السابق**، ص 90.

5- فضل كلود، **المرجع السابق**، ص 108.

أيضا عرفت مملكة الكانم علاقات مع بلدان شمال إفريقيا حيث اختلط السكان بعضهم البعض، وبانتشار الإسلام توطدت علاقاتها مع بنو حفص في تونس الذين ساعدوهم في حروبهم الداخلية، بإضافة إلى علاقاتها مع طرابلس،[1] ومع مالي،[2] التي كانت تصدر إليها النحاس.[3]

II.3/- في العلاقات العقائدية والثقافية:

إن التأثير الإسلامي فقد اتضح على كافة الأصعدة حيث أدى انتشاره بالإقناع إلى رسوخ الإيمان والعقيدة الصحيحة في قلوب الناس حلت روح الإسلام ومبادئه وتعاليمه السمحاء محل المعتقدات الوثيقة الفاسدة فتم تدريجيا القضاء على العادات والتقاليد الوثنية الموروثة في المجتمع الكانمي تأثيرا سيئا، وانتشرت اللغة العربية لغة الحضارة والثقافة والمدنية بين المواطنين وأصبحت هذه اللغة هي الرسمية للدولة طوال أحقابها التاريخية الطويلة و انتشرت المدارس وطرق انتشار اللغة و الثقافة العربية، بشكل واسع وأقبل الناس على التعليم دون تردد وأصبحت المراسلات و الوثائق والمحفوظات التي تمثل تاريخ هذه المنطقة وحضارتها تكتب باللغة العربية.

كما نجد أن هذه الممالك قد استخدمت اللغة العربية في مراسلاتها الخارجية لتوطيد علاقاتها السياسية والثقافية مع الممالك والأقطار العربية والإسلامية، فكان لمملكة كانم علاقة وطيدة بالحفصين في تونس والليبيين في طرابلس والمصريين بالقاهرة، وايضا بملوك مالي، وتأتي في هذا المجال رسالة أوردها القلقشندى والتي بعثها سلطان كانم عثمان بن الحاج إدريس للظاهر بن سعيد برقوق حاكم مصر عام 794هـ/1391م يشكو فيها قبيلة جذام العربية لعدوانها على أهل بلده.[4]

والرسالة التي بعثها السلطان أومي دونامه عام 657 هـ/ 1257م للمستنصر الحفصي أبي عبد الله محمد لسلطان الدولة الحفصية ،مع بعض الهدايا "وكان من بين الهدايا التي حملها السول

1- طرابلس: مدينة حصينة وهي في نحر البحر ، بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق، وبها صناع وأمتعة يتجهز بها لكثير من الجهات كثيرة أشجار الزيتون والتين، ولها فواكه جمة ونخل، أنظر: الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 297 .

2- مالي: مملكة مالي الإسلامية أقوى وأغنى الدول الإفريقية، ظهرت في غربي إفريقيا ومنطقة الساحل، امتدت من الأطلسي غربا إلى أواسط الصحراء الكبرى شرقا شاملة ما يعرف اليوم جدول مالي والسنغال وغامبيا، وشمال بورمبو كتو وجينى وغاو. أنظر: محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 75.

3- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع نفسه**، ص 143.

4- القلقشندى أحمد بن علي،**المصدر السابق**، ص 166.

السلطان. زرافة تدعى "شيفا" وقد أثارت الحيرة والعجب بين سكان تونس، وابتهج لها العامة وامتلأت ساحة وسط المدينة بجمهور الناس الذين سعوا لرؤيتها .إذ كانت بالنسبة لهم حيوانا جديدا و غريبا لم يألفوه من قبل.[1]

ويبدو أن إنتشار العقيدة الإسلامية على يد التجار ومن معهم من الدعاة حيث كان للقوافل التجارية دورا بارزا في انتشار الإسلام والازدهار الاقتصادي بغرب إفريقيا، خاصة تلك التي تخرج من تونس إلى برنو غرب بحيرة التشاد، ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة شمال نيجريا، ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحى نهر النيجر.[2]

وبروز أي مدينة تجارية سيؤدي بها إلى الظهور كمركز ثقافي يجمع المعلم والمتعلم بعدما كانت تجمع البائع و المشتري، فتصبح مركزا لتبادل السلع و الأفكار.[3]

كما نجد أن اللغة العربية قد أدت هذه الوظيفة الحضارية في الممالك الإسلامية التشادية فمع أنها كانت تضم عدد كبيرا من القبائل التي تتحدث بلهجات متعددة، إلا أننا نجد أن شعوب هذه الممالك الإسلامية منذ وقت مبكر اتخذت اللغة العربية لغة مشتركة لتتفاهم بين أفراد القبائل المختلفة، وأصبحت اللغة الشائعة والعامة التي يتكلمها الناس عند مخاطبة أفراد القبائل الأخرى، هاجرين لهجاتهم المحلية، ما جعل تلك اللهجات تتأثر كثيرا باللغة العربية، وتدخلها المفردات والمعاني والأساليب العربية، فأتاح للعربية الشيوع، فابن عمر التونسي عندما تحدث عن اللهجات في مملكة وداي عقب على ذلك بقوله "ولقلة مكثي في بلادهم وكثرة اللغة العربية لم أحتج أن أتعلم لغتهم".[4]

ومكانة اللغة العربية في مملكة كانم برنو لم تكن بأقل من ذلك، فإنها صارت لغة التخاطب والتعامل التجاري بين جميع العناصر التي سكنت بلاد الكانم، فقام على هذا الأساس مجتمع إسلامي متناسق عاش في أمن وصفاء ورخاء، وخلف لنا تراثا و رصيدا حضاريا مشرفا وباقيا على مر الزمن.

1- **المصدر نفسه.**

2- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 35.

3- **المرجع نفسه**، ص 38 .

4- التونسي محمد بن عمر، **رحلة إلى وادي**، تح: عبد الباقي كبير، شركة مناكب للنشر، الخرطوم، 2001، ص 104.

وقد ساهم التجار بنشر اللغة العربية التي هي لغة القرآن، فيجب على من يريد الدخول في الإسلام تعلمها إضافة إلى استعمال التجار اللغة العربية في معاملاتهم، كما إختلط المسلمون بالسكان الأصلين عن طريق التزاوج حيث كان من أهم عوامل نجاح إنتشار الإسلام بالمنطقة،[1] وكان التجار يترددون على المراكز التجارية في السودان الغربي فاحتكوا بالسودانيين أثناء إقامتهم بهذه المراكز، ونتيجة لهذا الاحتكاك انتشر الإسلام وتأثر به السودانيين.[2] كما عمل بعض التجار إلى تشيد المدارس والمساجد وكانوا يرسلون بعض الطلاب المجتهدين من السكان الأصليين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية بافريقية ومصر، ليتلقوا المزيد من العلم، وليعودوا قادة الفكر الإسلامي في بلادهم.[3]

حيث هبط الإسلام مع التجار والدعاة لمناطق المجاري المائية التي تصب في البحيرة، وتأسست حول البحيرة إمبراطورية "كانم وبرنو" الإسلامية.[4] وبشمال نيجريا إمارات الهوسا الإسلامية، وبقي الإسلام مدة ثلاثة قرون ينتشر في السودان الغربي عبر اتصال القبائل وارتحال التجار والقبائل والدعاة والمصاهرة.[5] وأدى ثراء التجار المسلمين في تحسين صورة الإسلام غرب إفريقيا، فساعد ذلك الغني التاجر المسلم على بناء منزل جميل والظهور بمظهر الكرم والسخاء، كما اهتم التجار باحترام مواقيت الصلاة سواء فرد أم جماعة ولا يشربون الخمر.[6]

وكان التاجر يلفت إنتباه السكان بهذه الصفات وبكثرة وضوئه وعبادته، وبما أن القوافل التجارية تحمل معها إلى السودان،[7] عدة ألاف من البشر سنويا، مما جعل أثرها ملموسا، وقام التجار

1- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 95-96 .

2- حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 57.

3- أحمد شلبي، **المرجع السابق**، ص 40.

4- هي أحد فروع قبيلة الماندينغ الزنجية والتي تعتبر أكبر قبائل غرب إفريقية إنتشارا.

5 - محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 35.

6 - **المرجع نفسه** ، ص 40.

7- السودان: كلمة تطلق على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، فسموا بلادهم ببلاد سودان التي يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى، وجنوبا درجة 10 °شمال خط الإستواء، والمحيط الأطلسي من الغرب، وينقسم السودان إلى ثلاث أقسام: السودان "الشرقي" – "الأوسط" – "الغربي". هذا الأخير يطلق على إفريقيا التي تقع إلى الجنوب، يحدها شرقا التشاد وغربا المحيط الأطلسي وجنوبا خليج غينيا. أنظر: يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع 16 إلى 20 م**، دار هومة، الجزائر، د.ت، ص 09.

التجار بتعميق العلاقات الثقافية من خلال إنشائهم المدارس لتعليم القرآن وأقاموا المساجد،[1] وبالتالي مارسوا نشاطهم تعليما إلى جانب مزاولتهم لنشاط الاقتصادي.

فتاريخ الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الغربي هو نفسه السجل الحضاري الناضج لهذه البلاد، فالدعوة الإسلامية افتتحت لنفسها صفحات التاريخ الناصعة، وسارت في موكب الحضارة الإنسانية وارتبطت بالعالم الإسلامي من حولها بعد أن أخرجت أنسانها من الغابة ومؤانسة الوحوش إلى رحلة الحجيج ومراكز الثقافة والعلم التي يرى فيها النور والناس، وبدلوا بدين الله حياته تبديلا، وقد كتب أحد المؤرخين الإفريقيين يصف أثر الإسلام في إصلاح المعارف الإنسانية.[2]

إن انتشار الإسلام في البلاد السودانية، ارتبط بداية مع التجار والمسلمين الأوائل الذين كانوا على منهجهم، خاصة وأن التجارة مع السودان كانت حكر الجماعات الخوارج انطلاقا من "تاهرت" و"سجلماسة" بالإضافة إلى سيطرة تلك الجماعات الخارجية على المداخل الصحراوية إلى البلاد السودانية، وأسهم التجار في بسط سلطان الدولة وتوسيع رقعتها بنشر الإسلام بين المجموعات غير المتجانسة عرقيا ولغويا فغدا الإسلام عاملا موحدا.[3]

وارتبطت مصالح الحكام مع التجار، من خلال عملهم على إزدهار التجارة الداخلية وربطها بالتجارة العالمية عبر الصحراء، فتوفر للحكام عائد مالي كبير فطوروا مؤسسات دولهم و وسعوها لتتناسب مع الظروف المتغيرة.[4]

فانحسرت الوثنية والنصرانية في شمال إفريقيا بفضل انتصارات المسلمين ولم يكن انحصارها وتدهورها عائدا إلى تعصب المسلمين وإنما يعود إلى الاضطرابات الداخلية والفساد الذي عم مؤسسات تلك الديانتين.[5]

1- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 95.

2- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 35.

3- عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 50.

4 - **المرجع نفسه**، ص 51.

5- دريد عبد القادر نوي، **إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء دراسة في خطوات الإنتشار والأسباب والوسائل**، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج1، 2007، ص 07.

وقد عرض السيد توماس أرنولد أسباب نجاح المسلمين بعد أن أعترف بأخلاق المسلمين، فقال: "إن انحلال الكنيسة التدريجي دليل على تسامح المسلمين، كما أن سياسة التسامح الديني التي أظهرها هؤلاء الفاتحون كان لها أكبر الأثر في تسهيل فتحهم لهذه البلاد.[1]

فدخول التجار المسلمين إلى مناطق السودان الغربي وقيامهم بعديد من الصفقات التجارية، وعليه فقد مهدت تلك الحملات الأولى إلى إستقرار بعض قبائل العرب المسلمين في تلك المناطق،[2] إذ كان التجار رسل الإسلام الأوائل الذين جذروا الإسلام بشكل جيد في نفوس الزنوج و كان البربر بشكل عام هم الأداة الذين عن انتشر الإسلام.[3]

وقام حكام بورنو بأداء فريضة الحج الذي كان -الحج- يؤدي لقيام علاقات فكرية ودبلوماسية ليست بين حكام بورنو وشعبها مع الحجاز فحسب وإنما مع بلاد شمال إفريقيا ومصر أيضا، لأن تلك الدول تقع على الطريق التي تسلكها قوافل الحجاج القادمة من السودان الأوسط فمكة،[4] وأول ملوك البورنو الذين ذهبوا للحج هو الماي "دونا ما داب المي" الذي خلف الملك "هيوم جلمي".

وقد عرف الماي دوناما هذا بالتقوى ومحبة الإسلام ويذكر أنه ذهب للحج أكثر من مرة، وأنه هو الذي بنى أول مسجد جامع كبير في مدينة "بالاك" شرقي كانم.[5] ويذكر أن الماي دونمه بن دابالمي. "وهو الملك السابع عشر في سلسلة مايك بورنو" لقب نفسه بلقب "أمير المؤمنين"، وأنه أول من حطم المعبد الوثني الضخم الذي كان في كانم والذي كان أخر بقايا الوثنين في المنطقة إذ لم يجرؤ أحد المايات قبله على تحطيمه، ولم يؤثر ذلك التحطيم على عملية نشر الإسلام.[6]

حرص الحكام على تشجيع بناء المساجد وإحياء مكاتب القرآن وتدريس علومه واحترام معلميه وطلابه وعرفت بلده "كنجور": بأنها بلد العلماء فلا يدخلها جند سلطان إلا سلطان كياك نفسه مرة

1- دريد عبد القادر نوي، **المرجع نفسه**، ص 07.

2- اليعقوبي، **البلدان**، **المصدر السابق**، ص 103.

3- القلقشندي، **صبح الأعشى**، **المصدر السابق**، ص 31.

4- السودان الأوسط: يشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها. أنظر: يحي بوعزيز، **المرجع السابق**، ص 09.

5- كاني. أ.م، **مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقيا ووسط السودان**، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، السنة الثالثة، العدد 01، ص 16.

6- عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 19.

كل عام وذلك في شهر رمضان حاملا الهدايا والصدقات لسدنة العلم وطلابه، وفي ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القديح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيما لهم.[1]

ونتيجة للحركة التجارية في المنطقة، وتبادل الأفكار الدينية وانتشار الإسلام، نشطت قوافل الحج إلى الأراضي المقدسة فكانت تخرج من غرب إفريقيا قوافل عديدة، يجتمع الناس في البقاع على اختلاف شعوبهم ولغاتهم من كافة أنحاء العالم لصلاة والحج وعندما يعودون إلى بلادهم يكونون مملوئين بالحماسة من أجل نشر العقيدة السامية، ويقف هؤلاء الحجاج على الجهاد ونشر الإسلام.[2]

اعتبرت الرحلة للحج إحدى القنوات التي انتشر بها الإسلام لاسيما في الفترات الأخيرة، حيث كان من أهم العوامل الفعالة في حركات التعريف الإسلامي في البلاد السودانية، فلقد استقر الكثير منهم في المدن السودانية يدرسون ويدرسون. ومن أمثال هؤلاء: عبد الرحمان التميمي، أحمد بن عمر بن محمد أقيت الصنهاجي، مخلوف البايلى .. إلخ.[3]

وبذلك يمكن القول أن العرب المسلمين المستقرين في كانم عملوا على أضعاف النظام الديني الوثني الذي فرضته "زغاوة"،[4] في المنطقة وساعدوا على انهياره بارتقاء حاكم مسلم في كانم.[5]

إذن كان لوجود العرب والمسلمين طويلا في كانم مسؤولية انتشار الإسلام في كانم وصعود الملك للسلطة وتفرق إتباع النظام القديم، مما يؤكده الجغرافي ابن سعيد قائلا: "*إن سلطان الكانم الشهور*

---

1 - عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 52.

2- عصمت عبد اللطيف دنش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ - 513هـ/ 1038م- 1121م**، مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص 156.

3- عمر الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 56.

4- الزغاوة: منطقة من مناطق بلاد السودان تبعد عن أنجيمي ستة أيام، وزغاوة عبارة عن كور عديدة وبها الكثير من السكان حرفتهم التجارة، أما قوتهم فهو الذرة ولحوم الجمال والمقددة والسمك، ولباسهم كان من الجلود المدبوغة، الحميري، **المصدر السابق**، ص 294 .

5- الشيخلي صباح إبراهيم وعادل الألوسي، **المرجع السابق**، ص 112.

بالجهاد وأفعال الخير، محمدي من ولد سيف بن ذي يزن، وكانت قاعدة حدوده الكفرة قبل أن يسلموا مدينة مانان ثم أسلم منهم جده الرابع على يد فقهاء الإسلام في كانم".[1]

وانتشرت مظاهر الحضارة والمؤثرات الثقافية والفكرية من شمال إفريقيا إلى السودان، ما ساعد على ازدهار ثقافي خاصة ما بين القرنين 6-9 هـ / 12-15م، وقد سكنها التجار والعلماء الصالحون،[2] خاصة علماء المغرب دائمي الرحلة إليها، كما كان علماؤها كثيرا ما يقيمون بفاس أو مراكش يعلمون ويتعلمون،[3] ووصلها العلماء من مصر وغدامس وغرب ليبيا وتقرت بالجزائر ووادي درعة جنوب المغرب وفاس والقيروان ومراكش والحجاز، وأصبحت بها مراكز للتعليم الإسلامي.

وارتبطت مدارس غرب إفريقيا كثيرا بالدين للتعبد والتعليم، وفي البداية ألحقت المدارس،[4] بالرباط، حيث كان المرابطون،[5] ثم أصبحت ملحقة بالمساجد فأصبح بجانب كل مسجد غرفة للطلاب الذين يأتون من أماكن بعيدة، فكانت المساجد كمقر رئيسي لتلقي العلم.[6]

كما حرص ملوك الممالك الإسلامية التشادية على تدعيم علاقتهم الثقافية في الدول الإسلامية العربية، من خلال بناء المدارس والبيوت والأروقة التي ينزل فيها الطلاب المهاجرون من تلك الممالك لطلب العلم في تلك البلاد. اذ يقول القلقشندى: "*أن أهل الكانم بنو مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم*".[7]

1- ابن سعيد الحسن علي بن موسى المغربي، **الجغرافية، المصدر السابق**،، ص 90.

2- عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 163.

3- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 101.

4- **المرجع نفسه**، ص 101.

5- المرابطون أطلق عليهم اسم الملثمون لإتخاذهم اللثام، وقد تميزوا به عن مختلف القبائل المنتشرة بشمال إفريقيا، وينتمون إلى قبيلة لمثونة البربرية احدى بطون صنهاجة البربرية التي يتفرع منها عدة بطون "مسوفة" "جدالة" و"لمطة"، أسسوا دولتهم من الصحراء الغربية الواقعة جنوب الوادي درعة مما يلي المحيط الأطلسي والمتصلة بشمال بلاد المغرب الأقصى وجنوب بلاد السودان، أنظر ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 371.

6- عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 167 .

7- القلقشندي، **المصدر السابق**، ص 218.

وكان من السلاطين الذين اعتنوا بنشر العلم سلطان كانم "دونامه إبن دابالامي" الذي بني مدرسة ابن رشيق في القاهرة. وكان السلاطين من بعده يبعثون مع السنين إليها بالمال، كما قام ببناء "رواق" بالقاهرة لنفع الواردين من مواطنيه طلابا وعمال وحجاج فيه طيلة وجودهم بها.[1]

كما كان لزوايا دورا بارزا مثلها مثل المساجد والمدارس في نشر العلم وتثبيت دعائم الإسلام بالمنطقة، وأنشئت هذه الزوايا من طرف رجال الدين الصوفيين، ووصلت إلى السودان الغربي عن طريق العلماء توات ورجالها الذين عرفوا بكثرة ترحالهم وبنائهم لزوايا المتعددة الخدمات، فكانت عبارة عن منارة للعبادة والعلم ومراكز الإقامة الطلاب ونزول المسافرين وإيواء الفقراء وأبناء السبيل، وهذا النشاط ساهم كثيرا في انتشار الإسلام بالسودان الغربي.[2]

هذا ما ساعد دعاة العرب على نشر هذه الطريقة الصوفية، فساعد الكثير من الدعاة على ممارسة نشاطاتهم الأخرى الدينية والثقافية وتشجيع وتحفيز الطلبة للاسترداد في العلم والترحال من أجل طلب العلم إلى شمال إفريقيا كالقيروان وفاس وتلمسان وتوات والقاهرة. وتعد الطريقة القادرية أقوى الطرق الدينية في الصحراء وأكثرها توغلا في السودان الغربي،[3] وأوفرها نجاحا في نشر الإسلام.

فهذه الطرق الصوفية كان لها دورا بارزا في نشر الثقافة الإسلامية أما فيما يخص الطريق الصوفية، فقد ارتبط غالبية المسلمين في غرب إفريقيا برجال الدين بوساطة إحدى الطريقتين "القادرية" أو "التجانية".[4]

1- أيوب محمد صالح، **الدور الإجتماعي والسياسي لشيخ عبد الحق الترجي في دار وداي شاد (1853-1917)**، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001، ص 57 .

2- بوداوية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، أطروحة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 262.

3- **المرجع نفسه**، ص 256 .

4- التجانية: رابطة روحية نشأت على يد الشيخ أحمد التيجاني الذي ولد عام 1737م، بقرية عين الماضي في صحراء الجزائر، درس العلوم الشرعية وارتجل متنقلا بين فاس، تلمسان، تونس، قاهرة ومكة...، أنشأ طريقته عام 1782م في قرية أبي سمغون بالجزائر ثم صارت فاس المركز الأول لها. ومنها انتشرت لإفريقيا الغربية، توفي عام 1815م، ودفن بزاويته بفاس، من أبرز أثاره كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي عباس التجاني، أنظر: **الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989، ص 125.

وقد كان انتشار هاتين الطريقتين ولاسيما التجانية واسعا جدا، ومن بين الطرق الصوفية التي كان لها انتشار واسع في السودان الغربي الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني،[1] في العراق، ثم انتقلت إلى وسط إفريقيا في القرن 15م.

وبعد الشيخ عمر بن الشيخ البحائي أول من أوصل هذه الطريقة للأطراف الشمالية للسودان الغربي، حيث انظم كثير من السودانيين إليها،[2] وذلك راجع لنشاط دعاتها الذين حرصوا على نشر الدين والعلم معا بإنشائهم الكثير من المدارس والمراكز في ولاته أول مركز لطريقتهم.[3]

1- عبد القادر الجيلاني: مؤسس الطريقة القادرية ولد بجيلان شمال إيران 1078م، ثم انتقل لبغداد عام 1095م، فاتصل بشيوخ العالم والتوصف وبرع في أساليب الوعظ والتفقه والحديث والأدب، عمل في التدريس والإفتاء ببغداد سنة 1133م. وكان يفتي على المذهب الشافعي والإمام بن حنبل، عرف بالتواضع والتسامح الديني وحب البر والشفقة على الفقراء و كان لا يقوم لأحد من العظماء ولا أعيان الدولة...توفي في بغداد سنة 1166م. من مؤلفاته الفتح الرباني وكتاب القيوضات الربانية. أنظر: أحمد توفيق عباد، **التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره**، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص 279، 283.

2- مبخوت بودواية، **المرجع السابق**، ص 255.

3- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 43.

المبحث الثالث

III	اثر العلاقات الحفصية مع مملكة كانم في القارة الإفريقية.
1.III	زيادة الروابط الثقافية بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها.
2.III	انتشار الإسلام في إفريقيا بشكل متسارع.
3.III	ظهور القبائل العربية وانتشارها في قلب القارة الإفريقية.

III/- اثر العلاقات الحفصية مع مملكة كانم في القارة الإفريقية:

1.III/- زيادة الروابط الثقافية بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها:

أخذت مدن السودان الغربي طابعا تجاريا لوقوعها في طريق التجارية القادمة من الشمال ومناطق أخرى، لكن سرعان ما أصبحت تشكل مراكز هامة تجلب إليها التجار نظرا لما تتوفر عليه من منتجات متنوعة. وكان لوصول التجار إليها دور هام في نشر الإسلام في غرب إفريقيا خاصة من شمال القارة متبعين الطرق و المراكز التجارية عبر الصحراء، وعلى طول الساحل الأطلسي، وذلك عن طريق التجار كما ذكرنا والدعاة المصلحين لتصبح أقطار السودان الغربي مركزا شعاعي ديني هام.[1]

فشعوب غرب إفريقيا لم يتقبلوا الثقافة الإسلامية إلا بعد أن فحصوها وتهيئوا لها نفسيا لوجود توافق بينها وبين الديانات التقليدية، فالديانة الإسلامية لها جوانب النافعة تحفزهم لاعتناقه ولا تتعارض مع أساسيات المجتمع الإفريقي التقليدي وممارساته الطبيعية القديمة.[2]

ويبدو أن انتشار العقيقة الإسلامية على يد التجار ومن معهم من الدعاة، حيث كان للقوافل التجارية دورا بارزا في انتشار الإسلام والازدهار الاقتصادي بغرب إفريقيا، خاصة تلك التي تخرج من تونس إلى برنو غرب بحيرة تشاد. ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة لشمال نيجيريا، ومن جنوب مراكش إلى مهب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر.[3]

ويبدو أن بروز أي مدينة تجارية سيؤدي بها إلى الظهور كمركز ثقافي يجمع المعلم والمتعلم بعدما كانت تجمع البائع والمشتري، فتصبح مركزا لتبادل السلع والأفكار معا.[4]

فالثقافة الإسلامية على التعبير الروحي خلال أداء الشعائر الجماعية التي تؤكد التماسك الاجتماعي والوحدة والآخاء، كما أن الثقافة الإسلامية لا تتعارض مع أساسيات الثقافة الإفريقية،

1- بلعربي خيرة، **المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010/2009، ص 164.

2- علي الخاتم، **الإسلام في غرب إفريقيا وأثاره الثقافية**، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا ، الخرطوم، 1985م، ص 28.

3 - محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 35.

4 - **المرجع نفسه**، ص 38.

ولم تحدث أي هزات عنيفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في غرب إفريقيا ،فقد ظلت معظم تقاليد الحياة الأسرية على صورتها العرفية لعدم تناقضها.[1]

ومن المسائل التي سهلت على الأفارقة في غرب إفريقيا في اعتناق الإسلام والتأثر بثقافته لأن الأفكار السائدة في الفكر الديني التقليدي الإفريقي بها ممارسات موجودة في الإسلام ومنها إيمان الديانات الإفريقية بفكرة الخالق الواحد المهيمن، وترفض الشر وتحب الخير.[2]

ويبرز اختلاف المدن حيث يغلب على البعض من المدن الطابع الاقتصادي مثل جني في مالي وتغلب الجانب العلمي على مراكز أخرى، مثل مدينة "كانو" في نيجيريا، واشتهرت تومبكتو في مالي بالأمرين معا،[3] تصلها من الشمال الخيل والأقمشة والملح، ومنها تقايض بالذهب والعبيد والأخشاب والمنتجات الاستوائية.[4] كما تردد التجار على المراكز التجارية بالسودان الغربي فاحتكوا بالسكان أثناء إقامتهم بهذه المراكز، ونتيجة لذلك انتشر الإسلام وتأثر بهم السودانيين.[5]

ومن العوامل التي حققت الألفة بين الدعاة المسلمين تجارا أو علماء هو ميولهم الثقافية فالإسلام دخل عبر الوسائل الروحية والوجدانية للإنسان الإفريقي فحافظ على الإسلام.[6] كما شيد بعض التجار مدارس ومساجد، وكانوا يرسلون بعض الطلاب المجتهدين من السكان الأصليين للمعاهد الإسلامية في الشمال الإفريقي ومصر ليتلقوا المزيد من العلم. وليعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم.[7] كما ساهم التجار بنشر اللغة العربية لغة القرآن، إذ استحسن على من يريد الدخول في الإسلام تعلمها إضافة لاستعمال التجار اللغة العربية في معاملاتهم، كما اختلط المسلمون بالسكان الأصليين عن طريق التزاوج، حيث كان من أهم عوامل نجاح انتشار الإسلام بالمنطقة.[8]

---

1 - علي خاتم، **المرجع السابق**، ص 194.

2 - **المرجع نفسه**، ص 38 .

3- أحمد شلبي، **المرجع السابق**، ص 194.

4 - محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 39.

5 - حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 57

6- حسن الطاهر، **الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991، ص 72.

7 - أحمد شلبي، **المرجع السابق**، ص 206.

8 - الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 95-96.

وقد أدت سياسة الحكام دروا إيجابيا في نشر الإسلام في البلاد السودانية، وكان لها الدور الأعظم في السلام العامة خاصة، عندما أسلم السكان الأصليون احتكاكهم بالتجار الوافدين أو تلقي العلم من العلماء الزائرين أو المقيمين.[1]

بالإضافة إلى تأثير الهجرة البشرية من خارج البلاد السودانية أو هجرات جماعات سودانية، كانت قد أسلمت من منطقة إلى أخرى، ولعبت هذه الهجرات دورا هاما، إذ اعتبرت من أهم القنوات التي نشرت الإسلام في البادية والحاضرة، وبين العامة والخاصة في المدن وبين الزراع والرعاة في الأرياف وذلك كله لاختلاط البربر والعرب، والسكان الأصليين إما مصاهرة أو معايشة على اختلاف أديانهم و تباين ألسنتهم فامتزجت الدماء وتداخلت الثقافات.[2]

وساهم الدعاة والمعلمون في نشر الإسلام في السودان الغربي، ونجح أغلبهم لأنهم عملوا بمبدأ التأني والمساواة بين المسلمين الجدد. ولم يكن هناك تعصب للون ولا للحبس ونظرا لمستوى هؤلاء الدعاة الذين تخرجوا من مدارس القيروان وفاس وطرابلس والقاهرة، فقد أثروا تأثيرا كبيرا وإيجابيا على سكان تلك البلاد، وساهموا مساهمة فعالة في نشر الثقافة الإسلامية.[3] وكان هناك كثير من العلماء والقراء منتشرون في مدن وقرى وبوادي بلاد السودان حسبما أوضحته روايتا "أسكيا" عن القراء، والسعدي عن علماء جني، ويحدثنا الكعني عن توميكتو فيقول: "وفيها مدارس معلمي الصبيان الذين يقرؤون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين كتبا".[4]

كما أن موجه انتشار العمران على حساب البادية، ساعد على اختلاط الأجناس وتمازجها، فلم يستقر العمران على قواعد الدول مثل "غانا" و"مالي" و"غاو" و"انجمي"، وإنما شمل العمران مدنا عدة في الدولة الواحدة، مثل: "تومبكتو" و"جني" في أيام دولة "مالي" ثم "سنغي". اذ يقول السعدي نقلا عن عمر عز الدين: "وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى و بلاد شتى".[5]

---

1 - عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 53.

2 - **المرجع نفسه**، ص 53.

3- الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 98.

4 - مبخوت بودواية، **المرجع السابق**، ص 222.

5 - عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 54.

والانتشار الكبير للإسلام، والعدد الهائل للمعلمين والعلماء والطلاب، أدى إلى ثقافة مزدهرة أصلية في العلوم النقلية، فقد كثر بين العلماء من برعوا في القرآن والحديث وعلومها والفقه المالكي أصوله وفروعه ونوازله. واللغة العربية والمنطق ويذكر الحسن الوزان: "*أن المخطوطات والكتب كانت من أهم سلع تجارة غير الصحراء و تباع في البلاد السودانية أكثر من أي سلعة أخرى.*"[1]

ويقول الكعنى عن أسكيا داود: "*له خزائن الكتب وله نساخ ينسخون له كتبا وربما يهادي بها العلماء.*"[2] وكثرة مجالس العلم التي يحضرها علماء من ذوي المعرفة الوافرة والعلم الغزير كمجلس "ماي برنو" أو يكون للأسقيا داود مجلس لتعلمه، حيث كان حافظا للقرآن وقرأ الرسالة وأتمها و كذا كان أسكيا الحاج حافظا للقرآن.[3]

فمدينة غانة نجد بها بيوتا على طراز مغربي جميل وساهم التجار في بناء عدد من المدارس، التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية فأقبل عليها السكان الغانيون بشغف كبير،[4] مما جعل اللغة العربية لغة الثقافة الوحيدة بالبلاد واللغة المستعملة في التبادل التجاري والمراسلات،[5] وازدهرت مدينة غانة وأصبحت تعج بالتجار وعملاتهم، والفقهاء والطلبة، وكان سكانها يبلغون أكثر من ثلاثين ألف نسمة، ومساكنها من الحجارة وبعضها من طابقين، وتشمل على العديد من الحجرات،[6] هذا بالنسبة لمملكة غانة،[7] هي التي إحدى ممالك السودان الغربي، وقد وجدت هذه التسمية في الكثير من من أمهات الكتب القديمة [8] ككتاب تحفة النظار لأبن بطوطة و كتاب صورة الأرض لابن حوقل.

---

1 - عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 56.

2- الكعنى محمود، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، طبعة السيد هوداس، مطبعة بردين، باريس، 1913، ص 94.

3 - عمر عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 56.

4 - محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 73.

5 - نعيم قداح، **القيروان عبر العصور**، طبع كتابه الدولة لشؤون الثقافية والإرشاد، 1964، ص 41.

6 - عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 160.

7 - غانة: تشمل جنوب موريتانيا و شرق السينغال حاليا وجزءا من مالي وربما غينيا أيضا لكنها غير غانة الحالية.

8 - هوارية بكاي، **العلاقات الزيانية المرينية، سياسيا وثقافيا**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007-2008، ص 05.

وتعتبر مدينة جني من أهم المدن السودانية التجارية والثقافية وقد ازدهرت بفضل تأمين الطرق التجارية وانتشار الأمن، وامتازت بسعتها وبأنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقي فيها التجار من جميع البلاد فيها. ويقول السعدي: "*فهي مدينة ميمونة مباركة، ذات سعة و بركة*".[1] وبالإسلام أميرها "كنبرو" في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، حذت حذوه الرعية وأسلمت الرعية.[2]

ويقال أنه كلما أراد اعتناق الإسلام جمع كل العلماء في مملكته وكان عددهم أربعة ألاف ومائتي عالم، وأسلم على يدهم، وطلب منهم أن يدعو الله أن ينصر مدينته، ثم هدم قصره وبني مكانه مسجدا عظيما مبالغة في حبه للدين الإسلامي.[3] ووصل إليها طلاب العلم والفقهاء وكان الطلبة يسارعون إلى العلماء والفقهاء لاقتباس علمهم، والمتتلمذ على أيدهم، وكانت الحلقات الدراسية والمناقشات العلمية تبدأ من منتصف الليل إلى صلاة الصبح وبعد الصلاة يجلسون حول العلماء إلى الزوال، تتخللها فترة راحة و تبدأ من جديد بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر.[4]

أما مدينة توميكتو،[5] منارة العلم والعلوم الإسلامية، حيث كان لها الأثر البعيد في نشر الإسلام وفي الرقي الحضاري خاصة منذ القرن 14م- 17م، في منطقة السودان الغربي إذ اقترن تاريخ الحياة الثقافية في تلك المنطقة بمدينة توميكتو التي كانت زاخرة بالعلوم يؤمها العلماء وطلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وترعرع الدين في مساجدها وأصبحت مجمعة العلماء من كل مكان،[6] مكان،[6] وبلغت مكانة كبيرة في الثقافة العربية حتى أنها كانت لا تقل عن مكانة القيروان في تونس، أو فاس في المغرب الأقصى، أو قرطبة في الأندلس، أو القاهرة في مصر.[7]

---

1 - السعدي عبد الرحمان، **المصدر السابق**، ص 11.

2 - عصمت عبد اللطيف دنش، **المرجع السابق**، ص 162.

3 - السعدي عبد الرحمان، **المصدر السابق**، ص 12-13.

4 - عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 162.

5 - تومبوكتو: مدينة تقع على حافة الصحراء قرب نهر النيجر إلى الشمال، ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن 12م، وتروى الأساطير المحلية أن الطوارق تركوا في إحدى المرات إمرأة منهم إسمها بوكتو BOCTO لنقوم بحراسة البئر وبعد وقت من الزمن أصبح المكان يدعى توم بوكتو TIMBOCTO أي مكان بوكتو تم تحول الإسم إلى تومبوكتو TOMBOUCTOU. انظر: بودواية مبخوت، **المرجع السابق**،ص 52.

6 - محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 101.

7 - عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 163.

فكانت مركزا ثقافيا وفكريا يجتمع فيه العلماء من جميع الأجناس والألوان، ووفى إليها علماء وفقهاء من بلاد المغرب والأندلس ومصر والحجاز كافة بلاد السودان.[1]

ووصل إلى المدينة العديد من التجار الذين ساهموا في بروزها كمركز تجاري وإقتصادي هام، ثم تبعهم العلماء الذين سكنوها وخدموا العلم فيها،[2] وهذا لأنهم وجدوا بها التشجيع والرعاية من طرف سكانها وسلاطينها،[3] ووصلها العلماء من أهل مصر وغدامس، وغرب ليبيا، وتقرت بالجزائر، ومنطقة وادي ورعة في جنوب المغرب، وفاس والقيروان ومراكش والحجاز وأصبحت مركزا لتعليم الإسلامي، انتشرت بها المكتبات الخاصة من أجل التأليف والنسخ.[4] وقد ربطت مدينة تومبوكتو بالجامعات المغربية الإسلامية، علاقات وطيدة إذ تدين في ثقافتها وحضارتها إلى المغرب، فكانت على اتصال وثيق بمراكش،[5] والقيروان وتلمسان،[6] وغدامس وطرابلس.

حيث أنها كانت مدينة عظيمة الشأن، وفيها دكاكين كثيرة مملوءة بالمنسوجات والكتب،[7] ومنارة ومنارة العلم في السودان سكنها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من القبائل والبلدان.[8]

وكما أنها انتشرت بها العديد من المراكز التعليم والوعظ والإرشاد في توميكتو ومن أهم مساجد توميكتو المسجد الجامع الكبير، ويعتبر من أقدم وأكبر مساجد تومبكتو ويبدو أن المسلمين أنشؤوه عندما استقروا بالمدينة، وكان بناؤه على صورة متواضعة تتناسب مع حجم سكان المدينة في تلك الفترة أي اي خلال القرن السادس هجرية.[9]

---

1 - حسن أحمد محمود، **المرجع السابق**، ص 270.

2 - محمد فاضل وإبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 101.

3 - عصمت عبد اللطيف دندش، **المرجع السابق**، ص 163.

4 - محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 101.

5 - الأمين عوض الله، **المرجع السابق**، ص 101.

6 - تلمسان: تعد محطة رئيسية للطريق العابر للصحراء، والمعروف بطريق الذهب، ويبدو أن بعض العائلات التلمسانية الناجحة في تجارتها أخذت على عاتقها حفر أبار هذا الطريق وحماية. وهي عائلة المقرين، أنظر: نصر الدين براهامي، سيدي محمد نقادي، **تلمسان الذاكرة**، منشورات تالة، الجزائر، 2007، ص 38.

7 - عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي على عهد الأسقين (1493-1591م)**، الجزائر، 1972، ص 102.

8 - السعدي عبد الرحمان، **المصدر السابق**، ص 21.

9 - خيرة بلعربي، **المرجع السابق**، ص 173.

ومسجد سانكوري الشهير، فقدته في الأصل سيدة فاضلة، ثم أعيد توسعه عدة مرات كان أخرها على أيام الأسقيا داود.[1] والجزء الشمالي منه الذي يعتبر جامعة هامة انفتحت على العديد من من الجامعات ومراكز العلم في الأندلس والمغرب مثل: فاس، مراكش، بجاية، طرابلس الغرب وتشابه مع جامعة القروين بفاس من حيث منهاج التعليم وأساليب التدريس.[2]

وعرفت مملكة الكانم وبرنو علاقات وثيقة مع بلدان شمال إفريقيا، حيث اختلط السكان مع بعضهم البعض. وبانتشار الإسلام توطدت علاقاتها مع بنو فحص في تونس الذين ساعدوهم في حروبهم الداخلية بالإضافة مع طرابلس الغرب ومع مالي.[3]

كما تعد مملكة سنغاي من أهم المدن في السودان الغربي، وتميزت بفترتين تاريخيتين واحدة قبل الأسبقين و الأخرى بعدها، ويعتبر عهد الأسبقين هو العهد الذي انتقل وترسخ في الإسلام في السودان الغربي، يجب وصف هذا بالعهد الذهبي من طرف المؤرخين، حيث بلغت المملكة ازدهارا ثقافيا وعلميا و تجاريا.[4] ولقد ارتبطت المملكة بعلاقات قوية مع بلدات المغرب العربي و بمكان وادي النيل، وقد ضمت مملكة سنغاي أهم المدن وهي "غاو " التي اعتبرت أهم حواضر المملكة ومقر إقامة السلطات وهي مدينة عتيقة على نهر النيجر، جنوب تادمكت بتسع مراحل.[5]

وقد بلغت درجة كبيرة من التطور والازدهار بحيث باتت عامرة بالسكاني والمباني،[6] وقد بلغ عدد بيوتها حوالي 7626 بيت لذلك صنفت من أكبر وأجمل مدن السودان،[7] ووجد بها أيضا القصور والمساجد ومقبرة الأسبقين.[8] وكذلك الأمر بالنسبة لجني التي عدت من أهم المدن السودانية ،التجارية ،التجارية والثقافية و تأسست في القرن 3هـ واعتبرت مركزا اقتصاديا هاما.

---

1 - عبد القادر زبادية، **المرجع السابق**، ص 104.

2 - محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 105.

3- محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 143.

4- هوارية بكاي، **المرجع السابق**، ص 08.

5 - الإدريسي، **صفة المغرب**، **المصدر السابق**، ص 11.

6 - مبخوت بودواية، **المرجع السابق**، ص 53.

7 - **المرجع نفسه**، ص 05.

8 - عبد القادر زبادية، **المرجع السابق**، ص 108.

ومن العلماء الذين كانوا قد تأثروا بعلماء أخرين من مناطق بعيدة نجد:

- محمد بن عمر محمد أقيت: هو أحمد بن عمر بن محمد بن عمر بن علي بن يحي الشكروري التومبوكتي، اشتهر بالعلم وكان من أهل الخير والفضل والعلم، وأخذ عن عدد من الشيوخ منهم جده لأمه الفقيه أندع محمد قاضي مدينة توميكتو وخله الفقيه المحترى النحوى،[1] وبعض شيوخ منطقة توات،[2] ارتحل إلى المشرق الإسلامي وحج عام (890هـ/1485م) ولقي العالم الجليل جلال الدين السيوطي وخالد الأزهري إمام النحو غيرهما.

- القاضي محمد سانو الونكري: كان فقيها عالما عابدا صالحا، قدم إلى مدينة "جنى" أواخر القرن 9هـ، من قرية تسمى "طور" القريبة من جني، وعند استقراره بها أحاطه السلطان بمظاهر الإحترام.[3]

بالإضافة إلى علماء آخرين أمثال: عبد الله بن محمود أقيت ومحمد بن محمود بن عمر أقيت، أحمد باي التمبكتي والسعدي والقاضي محمد كغت صاحب تاريخ الفتاش.[4]

وأدت الصوفية دورا هاما في انتشار الدعوة الإسلامية في كثير من مناطق العالم وذلك من خلال التخلق بالفضائل ومراقبة القلوب والخواطر والربط بين العقل والدين،[5] والتي واجهت الوثنية والديانات المحلية، والإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا كان في قالب صوفي لا يمت بصلة لما قام به كل من محمد عنده والأفغاني في مصر أو المهدي في السودان أو محمد بن عبد الوهاب في الحجاز. ويرتبط غالبية مسلمي غرب إفريقيا برجال الدين بوساطة إحدى الطريقتين القادرية أو التجانية.

وكان أول من نشر القادرية في بلاد السودان الغربي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم المضلي التلمساني الذي اتجه بجهوده للجزء الأوسط من الصحراء وإلى شمال نيجيريا، ثم سيدي أحمد البكاء الكنتي في القرن 15م، الذي نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى. وتعرف بالطريقة البكائية ثم انتشرت القادرية على يد الشيخ المختار الكنتي والشيخ التارازى الذي عملا على نشر

---

1 - مبخوت بودواية، **المرجع السابق**، ص 222.

2- الكعني محمود، **المصدر السابق**، ص 85.

3- مبخوت بودواية، **المرجع السابق**، ص 226.

4- عبد القادر زبادية، **المرجع السابق**، ص 104-105.

5- محمد فاضل وإبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 41.

القادرية في ما يسمى اليوم غامبيا وليبريا وغانا، ومع مطلع القرن 20 برز الشيخ سيدي بابا عالما وأدبيا واسع الفكر فقضى على كثير من البدع والخرافات التي تفشت بين مسلمي غرب إفريقيا.[1]

أما الطريقة التجانية فارتبطت هذه الرابطة على يد الشيخ أحمد التيجاني،[2] عام 1781م وأول من نشر هذه الرابطة في غرب إفريقيا وهو الحاج عمر الفوتي الذي ولد عام 1795م، وأخذ الطريقة من الشيخ علي حرازم،[3] صاحب جواهر المعاني والتلميذ الأكبر للشيخ أحمد التيجاني، وجدت هذه الطريقة أنصارا لها عديدين في الصحراء الكبرى وغربي إفريقيا و وسطها.

وقد انتسب "محمد بللو بن عثمان" سلطان سوكوتو الواقعة في شمال غرب نيجريا إلى التجانية بعد أن اتصل به "الحاج عمر الفوئى" لنشر هذه الطريقة هناك.

والطريقة السنوسية هي فرقة دينية صوفية تهدف إلى الإصلاح كان لها تأثير بعيد في نشر الإسلام في حوض نهر النيجر بشكل خاص، أسس هذه الطريقة سيدي محمد بن علي السنوسي،[4]

1- شلبي احمد، **موسوعة التاريخ، المرجع السابق**، ص 212-213. مج 6

2- التيجاني أبو العباس أحمد، مؤسس الطريقة التجانية، ولد عام 1737 في قرية عين ماضي في صحراء الجزائر، درس العلوم الشرعية وارتحل متنقلا بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة ووهران أنشأ طريقته عام 1782 في قرية أبي سمغون بالجزائر ثم صارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة منها انتشرت إلى إفريقيا الغربية، توفي عام 1815م، ودفن بزاويته في فاس، وأبرز أثاره كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني الذي قام بجمعه تلميذه علي حرزام عام 1799م -1214 هـ، أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، **المرجع السابق**، ص 125.

3- اسمه الكامل علي حرازم بن العربي براده المغربي الفاسي من أتباع الطريقة التيجانية، أحد تلامذة الشيخ التيجاني مؤسس الطريقة، لا يعرف عنه الكثير سوى أنه كان حيا عام 1799م ، وهو عام انتهى فيه من جمع كتاب "جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني" تأليف الشيخ التيجاني نفسه، تاريخ وفاة علي حرازم في المدينة المنورة ما زال مجهولا، وأيضا تاريخ تأليفه لكتاب "الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية من فيض الحضرة الأحمدية التيجانية"، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، **المرجع السابق**، ص 322.

4- السنوسي محمد بن علي، مؤسس الطريقة السنوسية وتنسب إليه الدولة السنوسية التي قامت في ليبيا، ولد في مدينة مستغانم الجزائرية عام 1787م، تعلم على يد علماء مسقط رأسه ثم ارتحل إلى فاس ودرس الصوفية وعين مدرسا بجامعها الكبير، جاب مناطق الصحراء وأعطى دروس على الطرق الصوفية، وتجول في بلدان إسلامية من بينها مكة، وعاد إلى برقة وأقام بالجيل الأخضر أين بنا الزاوية البيضاء مع عدة زوايا شمال وغرب ووسط إفريقيا، توفي عام 1850م، مخلفا أربعين كتابا ورسالة. أنظر الموسوعة العربية، مج 13، **المرجع السابق**، ص 156.

الذي أنشأ زوايا وأربطة في الواحات حول برقة وفزان في ليبيا وحول بحيرة تشاد في كانم،[1] وبرنو،[2] و عمل على نشر الإسلام والعلم.[3]

III.2/-انتشار الإسلام في إفريقيا بشكل متسارع:

لقد انتشر الإسلام في كانم قبل أن ينتشر في برنو، وتكونت بها دولة إسلامية منذ سنة 1090م، عندما أعلن ملكها دخول الإسلام هو وحاشيته ،وحث رعاياه على اعتناق هذا الدين وكان اسمه هو "ميه جيلمه" وكان ملك كانم يتخذ لنفسه لقب "ماو" وكانت عاصمته "جيمي" وقد دام حكم جيلمه 12 سنة، وكان لتحوله إلى الإسلام صدى كبير ونتائج عظيمة ،فعندما تحولت الأسرة الحاكمة في كانم إلى الدين الإسلامي استطاع الإسلام أن يكسب لنفسه جبهة ثابت في منطقة السودان الأوسط.[4]

ويذكر العمري،[5] أن الإسلام داخل إلى كانم على يد شخص ينحدر من أصل أموي ويدعى الهادي العثماني، ويرتبط ذلك مع ما ذكره البكري أنه قدم إلى كانم مهاجرون ينتمون إلى الأسرة الأموية، وقد وصلوا إليها لكونوا بمنأى عن سلطان العباسين الذين كان يلاحقهم باضطهاد.[6]

كما رفع الإسلام مستويات شعوب هذه البلاد من الناحية الأخلاقية والإنسانية، وأشاع علاقات حضارية وفكرية بين هذه المناطق وجيرانها المسلمين.[7]

فأصبحت مملكة الكانم بعد إعتناق حكامها الإسلام ذات أهمية كبيرة وضخمة وأكثر تنظيما وكفاية في أساليب الحكم، فبسطت سلطانها على قبائل السودان إلى حدود مصر وبلاد النوبة شرقا.

1- كانم، تقع الآن في غرب تشاد.

2 - برنو: تقع الآن في شمال شرق نيجريا.

3- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 46.

4- شلبي احمد، **موسوعة التاريخ، المرجع السابق**، ص 289. ج 6

5- العمري ابن فضل الله، ولد في دمشق عام 1300م، وتعلم فيها، كاتب السر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون المملوكي في مصر، توفي عام 1384م، أهم مؤلفاته "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار". أنظر: محمد فاضل وإبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 324.

6- البكري، **المصدر السابق**، ص 11.

7 - محمد فاضل وإبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 132.

وقد ذكر البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أن مملكة كانم كانت في عصره تمتد حتى نهر النيجر غربا، وأنها في الجنوب تضم جزءا من بلاد الهوس وقد استعان أهل الكانم بالحفصيين حكام تونس، واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي وصولا إلى صحراء قران في ليبيا شمالا والتي تمتاز بسيطرتها على طرق القوافل التجارية.[1]

وتولى الحكم بعد هوميه ابنه دوناما بن هومه (1097-1150م) وكان أول من حج من ملوك كانم ،و هي ميزة اتبعها الحكام الزنوج خلال المراحل الأولى لاعتناقهم الإسلام.[2]

وخلف عبد الجليل ولده "دوناما ديباليمي"[3] وكان ميالا إلى المشاحنات فكثرت المنازعات والحروب في أيامه ،لكنه حافظ على حلف مملكته والحفصيين الذين وقفوا معه في منازعاته عام (655 هـ/ 1257م)، قام دونا ماديبا ليمي بتوثيق عرف التواصل بين الطرفين، قد رأى البعض في حروبه ضد جيرانه الوثنيين نوعا من الجهاد الإسلامي.[4]

ومن الأعمال التي قام بها دونا ما ديبالمي التي زادت في رصيده الإسلامي تأسيس مدرسة إسلامية في القاهرة ونزل "فندق" للكانميين للنازلين بمصر أو المارين بها في طريقهم إلى مكة.[5]

إن حملة الإسلام إلى تلك البقاع من القارة الإفريقية كانوا من العرب الرعاة أو الدعاة أو التجار، الذين قاموا بنشر الإسلام في كل مكان وصلوا إليه، وبفضل الإسلام صار هذا الوطن الإفريقي أمة واحدة. وهناك أراء تقول أن الذين نشروا الإسلام فيما بعدهم الأفريقيين، وقد يكون المقصود بالأفريقي هم عرب مصر والسودان ويذكر ترمنجهام في كتابه "الإسلام في السودان" أن الحاميين الذين تجرى في عروقهم الدماء العربية السامية الذين جاءوا ليدعوا للإسلام.[6]

1- محمد فاضل وإبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 133.

2- زكي عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 177.

3- دوناما ديباليمي، حكم من عام 1210م حتى عام 1224م. شلبي احمد، **موسوعة التاريخ**، **المرجع السابق**، ص 290، مج 6. وهناك مصادر تقول انه حكم حوالي أربعين سنة 1212-1248م..

4- محمد فاضل وإبراهيم كريدية، **المرجع السابق**، ص 135.

5- **المرجع نفسه**، ص 133.

6- عبد الفتاح مقلد الغنمي، **المرجع السابق**، ص 120.

فكان مجيء الإسلام حافزا على توحيد القبائل تحت سيادة مملكة كانم كما عمل الإسلام على تهذيب العادات القائمة، وقضى على التقاليد الوثنية، ومع الإسلام انتشرت العلوم الإسلامية والمدنية الإسلامية، وازدادت اتصالها بأرقى الحضارات المعاصرة وهي الحضارة الإسلامية.[1]

فعندما تحولت الأسرة الحاكمة في كانم إلى الدين الإسلامي استطاع الإسلام أن يكسب لنفسه جبهة ثابت في منطقة السودان الأوسط ويقال أن ملوك كانم من المسلمين حكم أما حول نهاية القرن الحادي عشر أو النصف الأول من القرن 12م،[2] وأصبحت كانم دولة إسلامية ذات أهمية كبيرة وبسطت سلطاتها على قبائل السودان الشرقي إلى حدود مصر وبلاد النوبة.[3]

وإن الكانم قد تشبعت بالروح الإسلامية وقد أثر الإسلام في هذه المناطق من جراء تحركات السكان المسلمين وهجرتهم وتأثرهم على السكان المحليين أيضا نرى أهميته كعامل مؤثر في نشر الإسلام، فقد كانت قبائل الكانمبو والكانوري من أوائل القبائل التي اعتنقت الإسلام، فتركت بصماتها المؤثرة في المنطقة رغم أنهم لم يكونوا رجال بعثات إسلامية أو دعاة لنشر الإسلام إلا أنه كان لهم الفضل في نشر الإسلام بين سكان هذه المناطق ولاسيما سكان المناطق الجنوبية الوثنية.[4]

قامت سلطته كانم في الحياة الإسلامية بنفس الدور الذي قامت به سلطته مالي وسنفي من حيث اتصالها بالبيئات والدول الإسلامية المجاورة والدول الإسلامية المعاصرة، تأكيدا لروح الأخوة الإسلامية واستفادة من الخيرات الثقافية والعلمية. فقد سعى هؤلاء السلاطين إلى مواسم الحج، ومرورا في طريقهم بمصر شأنهم شأن السلطنات الأخرى. فالسلطان "دوناما" سلطان كانم خرج حاجا ومر بمصر في طريق السفر و العودة ويقال أنه نزل بمصر في كل مرة ثلاثمائة من العبيد.[5]

ومن اجل أن تحقق الأسرة الحاكمة في كانم بعض مظاهر الحضارة الإسلامية العربية فإنهم شجعوا العلماء والفقهاء الذين أخذوا بنصيب من العلم في كل من مصر وبلاد الحجاز والشام وتونس

1- طرخان إبراهيم علي، **المرجع السابق**، ص 77.

2- زين خلف نواف، **دولة كانم وجهودها في نشر الإسلام في السودان الأوسط**، جامعة الأنبار، 2011، ص 08.

3- حسن إبراهيم حسن، **الإسلام في إفريقيا الوسطى**، بغداد، 1981م، ص 13.

4- عبد الفتاح مقلد الغنمي، **المرجع السابق**، ص 128.

5- حسن احمد محمود، ج1، **المرجع السابق**، ص 259.

والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد الإسلامية. بمنحهم مكانة مرموقة في المجتمع وأحاطوا أنفسهم بعدد من كتاب اللغة العربية وعلمائها وجعلوا اللغة العربية أداة الكتابة الرسمية.[1]

وانتحل الكانميون مذهب الإمام مالك فبنوا مدرسة للمالكية كمركز للثقافة الإسلامية،[2] عرفت بإسم مدرسة ابن رشيق بفسطاط مصر لتدريس المذهب المالكي، مع استخدامها نزلا للوافدين،[3] كما رحل الطلاب من كانم إلى المراكز الإسلامية الثقافية في العالم الإسلامي مصر الأزهر، تونس القيروان، مراكش، فاس وغيرها من المراكز الإسلامية الشهيرة.[4] وقد شاع المذهب المالكي وعلق القلقشندي على ذلك عند أهل كانم بقوله: "*يتمذهبون بمذهب مالك الإمام*."[5]

وكان رجال العلم يتمتعون في البلاد بمكانة ممتازة فقد درج السلاطين على إصدار مراسيم تجعل شخصه العالم وولده وماله حراما لا تمس بسوء طيلة حياته، وامتدت هذه الهبات إلى المهاجرين من علماء المسلمين الوافدين من الشمال أو الشرق.[6] كما ساهمت الطرق الصوفية في إنشاء المراكز الدينية لتدريس أصول الدين، وكانت أكثر الطرق انتشارا في كانم الطريقة السنوسية، فانتشرت زواياها في كل النواحي ولا يزال إلى اليوم اتباع للسنوسية في "كانم" و"واداي" و"أير".[7]

فقد توثقت عرى الصداقة مع بقية الإمارات الإسلامية في جهات بحيرة تشاد فكانت خير وسيلة لإنتشار الدين الإسلامي ومبادئه القويمة.[8]

1- عبد الفتاح مقلد الغنمي، **المرجع السابق**، ص 132-133.

2- حسن إبراهيم حسن، **إنتشار الإسلام**، **المرجع السابق**، ص 131.

3- طرخان إبراهيم علي، **المرجع السابق**، ص 73.

4- عبد الفتاح مقلد الغنمي، **المرجع السابق**، ص 133.

5- القلقشندى، **المصدر السابق**، ص 271 .

6- زكي عبد الرحمان، **المرجع السابق**، ص 226.

7- طرخان ،إمبراطورية البرنو الإسلامية، **المرجع السابق**، ص 70.

8 - زكي عبد الرحمان، **المسلمون في العالم اليوم إفريقية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص 89.

III.3/- ظهور القبائل العربية وانتشارها في قلب القارة الإفريقية:

إن منطقة الكانم تحتوي طاقم بشرى فريد من نوعه بسبب تعرض المنطقة لهجرات القبائل المتعددة، والمتنوعة من الشرق ومن الغرب ومن الشمال.

ولم تتقطع حتى كونت مجموعات إثنية مشكلة في تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف التي اعترف بها المؤرخ النيجري "أدام عبد الله الالوري" في كتابه "موجز تاريخ نيجريا" على أن هذه الدولة قامت حول بحيرة تشاد وقد أسسها سنة 800م قوم من البرابرة، ثم إنتزعها منهم قوم من العرب الكانميين 1000م، ولم تلبث أن صارت إمبراطورية عظيمة امتدت على ضفاف نهر النيجر و إلى قلب الصحراء. أدت هجرة القبائل إلى هذه المناطق وتعميرها بهذه القبائل ومجموعات السكانية التي أدمجها في السكان الأصليين إما بطرق سلمية أو بإرغامها على الذوبان في المجتمع. واتحدت الكثير من القبائل والأعراق والمجموعات السكانية الكبيرة مثال العرب من علماء وتجار ورعاة ..إلخ التي اختلطت بالسكان المحليين و بسكان السودان عامة.[1]

أثر العرب بشكل كبير في تقاليد ولغة وثقافة العناصر التي اختلطوا بها في منطقة الكانم وإفريقيا بشكل عام والتي وصلوا إليها من مختلف الجهات.

- عرب الشوا: وهي تسمية أطلقها أهل السودان منهم الكانمبو وأهل البرنو، "الكوتوكو" وأهل "باغرمي" على هؤلاء الرعاة، ففي اللغة الكانورية عرب الشوا تعني الرعاة الرحل، وينقسمون إلى مجموعات أهمها "الابالة" ويمثلون رعاة الإبل وهم بدو يملكون الماشية دون الجمال ويتواجدون ما بين نيجريا بالذات في منطقة "قامبرو "gamboro" شمال شرق نيجيريا والكمرون، وتشاد والسودان. هاجروا إلى الأقاليم الشرقية من نيجيريا واستقروا حول بحيرة تشاد والبرنو والدارفور، إشتهرت هذه القبائل بالفروسية وبصناعة الحديد والجلود. وينقسم الشوا إلى مجموعات منها "الحساونة" و"جهينة".[2]

- قبيلة جهينة: عرفوا بأنهم أبالة وبقارة الذين إدعوا أنهم جاؤوا من اليمن إلى مصر. ومن ثم نحو حوض وادي النيل الأوسط في أوائل القرن الثامن ميلادي، ومنها شقوا طريقهم نحو كردفان، ومن ثم إلى شاري، وتنقسم هذه الأخيرة إلى مجموعات من أهمها السلامات و"خزام" و"أولاد راشد"، والمسيرة"، "المحاوبيد" و"الدكاكير".

---

1 - لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 26.

2 - **المرجع نفسه**، ص 32.

-الحساونة: وهم العرب الذين جاؤوا إلى حوض شاري عن طريق طرابلس وأشهر فروعها "العسالة" و"الدقنة"، ويحتمل أنهم جاؤوا إلى المنطقة بعد وصول جهينة.[1]

وهناك قبائل تخص شمال تشاد منهم:

- الحدادون: أطلق عليهم إسم "دانو" وهم مجموعات متفرقة شمال تشاد، يقال أنهم جاؤوا إلى كانم من الوادي، وتسميتهم بالحدادون ومفردها حداد ترجع لاستخدامهم النار في صناعة الحديد. وقد تعرضوا لاضطهاد جيرانهم كونهم فئة منبوذة محقورة في السودان الأوسط، اشتغلوا في صناعة الحراب والأدوات الحديدية، ومارسوا مهنة صيد الأسماك.[2]

- التنقريون: إنحدروا من مصر "وادي حلف" وتزاوجوا مع الفور، وأقاموا في الوادي وباقرمي. كما دخلوا كانم بعدما كانوا يقطنون البرنو و"الدارفور".[3]

- الزغاوة: أقدم قبائل وصلت بحيرة تشاد، وأنشأو فيها مملكة واسعة الأطراف إمتدت بين تشاد غربا إلى النوبة شرقا، و هم شعب جمع الخصائص الزنجية والعامية أي هم مزيج من قبائل التبيو "شعب طيء" العربية وبعض الزنوج. وقد إختلف المؤرخون حول تحديد أصولهم الحقيقية، فمنهم من يقول أنهم جاؤوا من شمال إفريقيا " ليبيا والمغرب". ومنهم من يعتبر موطنهم الأصلي الدارفور.[4] وتوصل "حسين مؤنس "بأبحاثه أن الزغاوة في أصلهم البعيد فرعا من قبيلة زواغة كما يسميها إبن خلدون، وزغاوة تكتب أحيانا و"زاوة" وأحيانا أخرى "زوازة"، وربما كلها تعريفات للإسم الأصلي، هاجرت هذه الأخيرة من مناطقها على ساحل المتوسط إلى بلاد الجريد جنوبي تونس، ثم طرابلس، ومنها إلى فزان وكوار وإقليم تشاد، ثم إتجهوا شرقا فاستقروا في إقليم الدارفور.[5]

كما يبدو مما ورد في كتب مؤرخين عرب مثل "المسعودي" و "إبن السعيد" و"الإدريسي" و"إبن خلدون"،[6] أن موطنهم يمتد غربا إلى إقليم النيجر، غير أنهم حاليا شمال غرب الدارفور وقسم منهم

1- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 34.

2- **المرجع نفسه.**

3- الدارفور: هي إمارة من إمارات السودان الشرقي تقع شرق المملكة، تأسست في النصف الأول من القرن 17م.

4- محمد فاضل وسعيد إبراهيم كردية، **المرجع سابق**، ص 321.

5- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 35.

6- محمد فاضل وابراهيم كردية، **المرجع السابق**، ص 320.

بإقليم "كامجار" في كردفان، والدراسات الحديثة تؤكد أنهم يتوزعون بين شمال الوادي (جمهورية تشاد) وبين شمال الدارفور (جمهورية السودان)، ومن فروعهم نجد " الكبكاس" و"الكوب"، ويتكلم معظمهم اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية "التيبو"، كما تشير دراسات إيثوغرافية أن نمطهم نصف مستقرين يبحثون عن المراعي والصيد والتجارة، انتشروا منذ القرن التاسع ميلادي على مساحة واسعة تمتد من جنوب دارفور حتى بحيرة تشاد، وتمتد في الشمال حتى تصل للمنطقة الممتدة بين الواحات المصرية والنوبة،[1] من ناحية الشرق وتتسع غربا إلى الخط الذي يصل ما بين قران في الشمال وبحيرة تشاد في الجنوب.[2]

- البولالا: كلمة بولال مكونة من لفظين "ب" و"بلال" معناها أحرار الطوارق أو نبلائهم عرفوا بإسم "كرا بلال" أي بنفس المعنى أحار الطوارق، ومن خصائصهم الجسمانية السمرة النحاسية، والشعر المموج والشفتين الرقيقتين والأنف المقوس والوجه المستطيل ولا بروز للفك، أما بالنسبة لأصولهم العرقية فكانت افتراضات منذ زمن طويل لباحثين ومؤرخين، قدموا اقتراحات: فمنهم من يعتبر "البولالا"،[3] أبناء عم الحكام الماغوميين احد فروع الأسرة السيفية، أما آخرون اعتبروا ظهورهم نتيجة مصاهرة تمت بين عرب الشوا والعنصر المحلي، أو عن مصاهرة بين العرب والطوارق، والأرجح أن أصولهم بربرية متأثرة بالدماء العربية.

والروايات الشفوية تؤكد أنهم تمسكوا بالدماء البربرية وهو ما يظهر بصورة جلية في أغانيهم التي ترددونها وحسب ما جاء في المخطوطات العربية التي عثر عليها في البرنو تقول أن أصلهم عربي يمني،[4] لأنهم إدعوا ذلك وأنهم من سلالة سيف بن ذي يزن اليمني. وهناك أسطورة تفسر هذا النسب النسب حيث تدعى أن البولالا قد شقوا طريقهم مع أبناء عمومتهم الماغوميين السيفيين الذين كانوا يتحركون سويا حتى وصلوا إلى قرى الكانم فافتحوها، كما سيطر البولالا على أسواق الكثيرة وخيول

1- النوبة: تقع في جنوبي مصر مما يلي المغرب على ضفتي النيل، ويحدها من الشمال مصر ومن الشرق أرض البجة، وبحر القلزم وقاعدتهم مدينة دنقلة، أنظر: حسين محمد نبيلة، **تاريخ إفريقية الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007، ص 70.

2- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 35.

3- البولالا: قوم من الرعاة كانوا يعيشون في بحيرة فيتري قاموا بغزوات ضد الكانم، أنظر: نور الدين شعباني، **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، ب.ط، دار الجزائر ، 2015م، ص 85.

4- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 36.

عديدة حتى أصبحوا ذوي نفوذ وقوة كبرى، وذهبت بعض الآراء إلى اعتبارهم نتاج تزاوج بين ثلاثة أجناس الإثيوبيين والزنوج والعرب وصورتهم أبعد ما تكون عن أشكال الزنوج إلا أنهم يقتربون اليوم إلى الشكل الزنجي بسب المصاهرة المستمرة بينهم و بين النيجريين، وكانوا وثنين ثم أسلموا.[1]

بلادهم الأصلية هي "الفيتري" و"الهادما"، ولغاتهم هي "الكوكا" و"بابالیا" و"الكيتغا" و"الميدوغو" فكلها تابعة للمجموعة اللسانية الصحراوية الباغيرمية، ويعتبرهم "بارث"،[2] من أعضاء أسرة سيف الفارين إلى فيتري فنجد التأثير الكبير للأسرة السيفية في شتى الجوانب خاصة في الجانب السياسي ودور المرأة في السلطة التي تحمل لقب "غيمسو".[3]

لقد نجح البولالا في إقامة مركز قوي على حدود البحيرة التي تحولت إلى سلطنة واسعة حول فيتري، التي وضع حجرها الأساسي أبوهم "جليل سكوتيمي بن دوناما ويلا"، وسيطروا بذلك على عدة قبائل في كوكو وفي المنطقة الواقعة من برقو إلى دوكو، ينسب كل من البولالا وبرنو إلى أصل واحد وهو حمير، وكانت مملكتهم تحد غربا مملكة البرنو. كانم وتمتد شرقا مع النوبة وتلتقي في الجنوب مع صحراء معينة على جزء متخرج من النيل. ويبلغ طول أرضها حوالي 500 كلم طولا وعرضا، أقيم فيها قلاع أهمها وأقدمها "غارين"، "كيتالا" في واحات ليلوا، كما أنشئوا "إكوما" حاليا "يوغوم"، وفي الشمال الشرقي "لسمي" وهي "جيمي" في الجنوب وقلعة "ال أغافي " بعدما حدثت بينها و بين سلاطين كانم برنو حروب دامت نصف قرن منذ عهد الملك " داوود" في الكانم إلى غاية "عثمان" في برنو.[4]

1- لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 36.

2- بارث: رحالة وجغرافي ألماني ولد سنة 1821م، له الفضل في العثور على أهم المراجع العربية القديمة في تاريخ غربي إفريقيا ودراسة الصحراء بين طرابلس وتشاد والسودان، زار مناطق الهوس تحدث عن كانو سكانها، أسواقها وتجارتها وصناعاتها وأهم منتجاتها، زار برنو عام 1850م، ومكث فيها أكثر من ثلاث سنوات يجمع الوثائق التاريخية عن برنو ويسجل الروايات الشفهية ،و كانت علاقته بسلطان برنو قوية مكنة من جمع مادة غزيرة التي رتبها وسجلها في كتابه الهام. وعاد من نفس الطريق التي قدم منها وانتهت رحلته في 1855م. وقد سجل ملاحظاته في كتاب "رحلات واستكشافات الوسط الشمالي لإفريقيا". وصف فيه القبائل والمدن التي زارها وصفا دقيقا ،توفي المستكشف الألماني سنة 1865م، بعد أن أسدى للأوروبيين خدمة عظيمة سهلت عليهم التوغل في قلب القارة بعد أن عرفهم على عادات وتقاليد أهلها وجغرافيتها، أنظر: لعربي حجيلة، **المرجع السابق**، ص 28.

3 - **المرجع نفسه**، ص 36.

4 - **المرجع نفسه**، ص 37.

وصل الإسلام إلى مملكة الكانم والبورنو عن طريق فزان من القرن الأول هجري في كوار في أقصى شمال السودان الأوسط، مر الإسلام مرور العابرين مع الحملة التي قادها عقبة ابن نافع بعد منتصف القرن الأول هجري، عندما اعتنق الإسلام البربر، قران، وكوار، فشرع الإسلام في بلوغ المناطق الواقعة إلى الجنوب.[1]

فالسيفيون والواقع أن اليزنيين يشير إليهم العمري أنهم أن السيفيين الذين شق اسمهم من اسم سيف بن ذي يزن. ويقول البكري في سنة (470هـ/-1067م) لتاريخ دخول الإسلام إلى مملكة الكانم، يقول تاريخ تغيير الأسرة الحاكمة: وما بين زويلة وبلد مملكة الكانم أربعون مرحلة وهم وراء صحراء ريويه لا يزال أحد يصل إليهم وهم - سكان الكانم- سودان متحركون ويزعمون أن هناك قوم من بني أمية ساروا إليها عن محنتهم بالعباسيين وهم على زي العرب و أحوالها .

وبعد الحملة التي قادها عقبة بن نافع التي كانت عام 46 هـ -666 م لفتح فزان بدأ الإسلام ينتشر بين ممالك السودان الأوسط فتاريخ انتشار الإسلام في البرنو مرتبط بدخوله في مملكة الكانم إذ دخل إليها عن طريق مصر حوالي القرن (05هـ/11م).[2]

فأنتشر في عهد السفيين انتشارا واسعا و ذلك بعد الانتصارات الحربية على شعوب الوثنية وهي شعوب التيدا في الشمال و الصوصو في الجنوب .

إن مملكة الكانم والبرنو من المماليك القديمة في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وكانت مشهورة بين الإمبراطوريات العظيمة في العصور الأولى .

وصل الإسلام إليها وانتشر في المملكة واعتنقه ملوكها وقامت بمملكتهم على أسس سليمة فاهتموا بالعلم و المعرفة بالإضافة إلى ذلك فتح أمام المسلمين باب التعليم والقراءة و الكتابة، ووضع المملكة الإسلامية الناشئة جعلها تشجع العلم فلهذا شهدت مملكة الكانم بورنو نظاما تعليميا على غرار التعليم الذي كان سائدا في بلاد المشرق و المغرب الإسلامي،[3] وقد تعددت تلك الدور:

1- سامية باقل، **الشيخ محمد الأمين الكانمي ودوره في مملكة الكانم بورنو خلال ق 19م**، مذكرة ماستر في التاريخ، جامعة خميس مليانة، 2017، ص 141.

2 - سامية باقل، **المرجع الساق**، ص 15.

3 - **المرجع نفسه**، ص 19 .

- المسجد: هو من أهم مراكز التعليم في مملكة الكانم بورنو وهو أيضا من أهم الجوانب الثقافية، وكان مفهم المسجد مهم لدى الكانم بعد الصلوات المفروضة وهو المكان الذي يلتقي فيه العالم والمتعلم أو الأستاذ والتلميذ .

- منازل العلماء و قصور الحكام: أهم مراكز التعليم في مملكة الكانم منازل العلماء و قصور الحكام إذ كان الكثير من علماء المملكة يتلقون دروسهم في منازلهم.[1]

- الكتاب: من أهم مراكز التعليم في الكانم الكتاب و قد عرف الكتاب منذ صدر الإسلام ،ثم انتشر بانتشار الإسلام إلى سائر الأمصار و كذلك اهتم علماؤها بالعلم و التعليم.[2]

- دور طرق الحج في نشر الإسلام: كان الحج من إحدى الوسائل الهامة في تعميق الثقافة العربية بين الشعوب الإفريقية ،حيث كان الحجاج يرتحلون من بلادهم وفي طريقهم إلى أداء فريضة الحج فالحج أفسح المجال للمسلمين و أتاح لهم فرصة الالتقاء لتبادل الآراء والمشاورة في أمور دينهم ودينياهم. لذلك اهتم السلاطين بأداء فريضة الحج و كان أول ملك قام بالحج هو السلطان "أومي جلمي" عام 1097م. وبعد وفاته واصل ابنه دوناما مسيرة أبيه في نشر الإسلام، فملوك الكانم سلكوا طريقا في أداء فريضة الحج و من أهمها ما يلي :

وقوع مصر على طريق قوافل الحج ذاهبة إلى بيت الحرام فكان المسلمون يمرون بها ذهابا و إيابا .

فأنشئوا مدارس في البلاد العربية من أشهرها مدرسة ابن رشيق حيث يذكر القلقشندى فيقول " نقل عنها في كتاب مسالك الأبصار، وقد بنو مدرسة للمالكية بالفسطاط ينزل بها وفودهم.

من أهم طرق الحج وقوع السودان في طريق الحج إلى بيت الله الحرام التي تبدأ م بحيرة التشاد مخترقة البلاد من المغرب إلى الشرق في الذهاب و من الشرق إلى الغرب إيابا.[3]

---

1 - سامية باقل، **المرجع الساق**، ص 19.

2 - **المرجع نفسه**، ص 20.

3 - **المرجع نفسه**، ص 21.

خاتمة

خاتمة: من خلال هذه الدراسة استخلصت أهم الاستنتاجات العامة نذكر منها:

- امتياز الدولة الحفصية بموقع إستراتيجي هام، وبروزها في البحر المتوسط إلى جانب طرقها الساحلية التي كانت تربط بقية أقطار المغرب بالمشرق.

- اعتبار مملكة الكانم من إحدى الإمبراطوريات الكبيرة التي تقع غرب جمهورية التشاد. كما ساعد موقعها الجغرافي و عدم وجود الحواجز الطبيعية التي تعرقل النشاط في تلك المنطقة.

- بروز عدة علاقات ذات أهمية سياسية كبيرة بين الدولة الحفصية والكانمية ساهمت في ازدهار تلك العلاقات سواء السياسية أو الثقافية أو التجارية .

- ساهمت الواجهة الجغرافية بين الدولة الحفصية والكانمية في ازدهار تجارة القوافل بين الطرفين، بالإضافة إلى وجود أي عوائق بينهما .

قيام كلا الدولتين بتصدير الحاجات والسلع التي بحاجة لها كل دولة بينهما.

- بروز طرق تجارية عبر الصحراء التي لم تكن يوما حاجزا أمام هاتين الدولتين، سهلت "الطرق" نقل البضائع التجارية، بالإضافة إلى المظاهر الحضارية، وازدهار بعض المدن الواقعة على الطرق التجارية مثال: (غدامس- غات- مرزق- بلما) التي أصبحت مراكز تجارية هامة وخاصة للقوافل التجارية .

- دخول الإسلام حاملا في طياته لغة القرآن الكريم اللغة العربية إلى إفريقيا والكانم خاصة بطرق عدة عبر التجار ودعاة و الحكام مما عملوا بدورهم على نشره وترسيخه أكثر وجعلوه الدين الرسمي للمملكة.

- كان للتجار والدعاة والعلماء دور هام في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بين الدولة الحفصية والكانمية من خلال الرحلات العلمية فيما بينهم، وبناء المؤسسات الثقافية والدينية في كلا منهما التي كانت تهتم بالإرشاد و الوعظ .

- ظهور القبائل العربية (عرب الشوا - حدادون- تنقريون- زغاوة- البولالا) والتي انتشرت في عدة مناطق، فأثر العنصر العربي بشكل كبير في تقاليد و لغة و ثقافة العناصر التي اختلطوا بها في مختلف المناطق التي وصلوا إليها .

الملاحق



ملحق (01): خريطة تمثل المجال الجغرافي للدولة الحفصية.[1]



ملحق (02): خريطة تمثل الممالك الإفريقية بالتشاد في العصر الوسيط.[2]

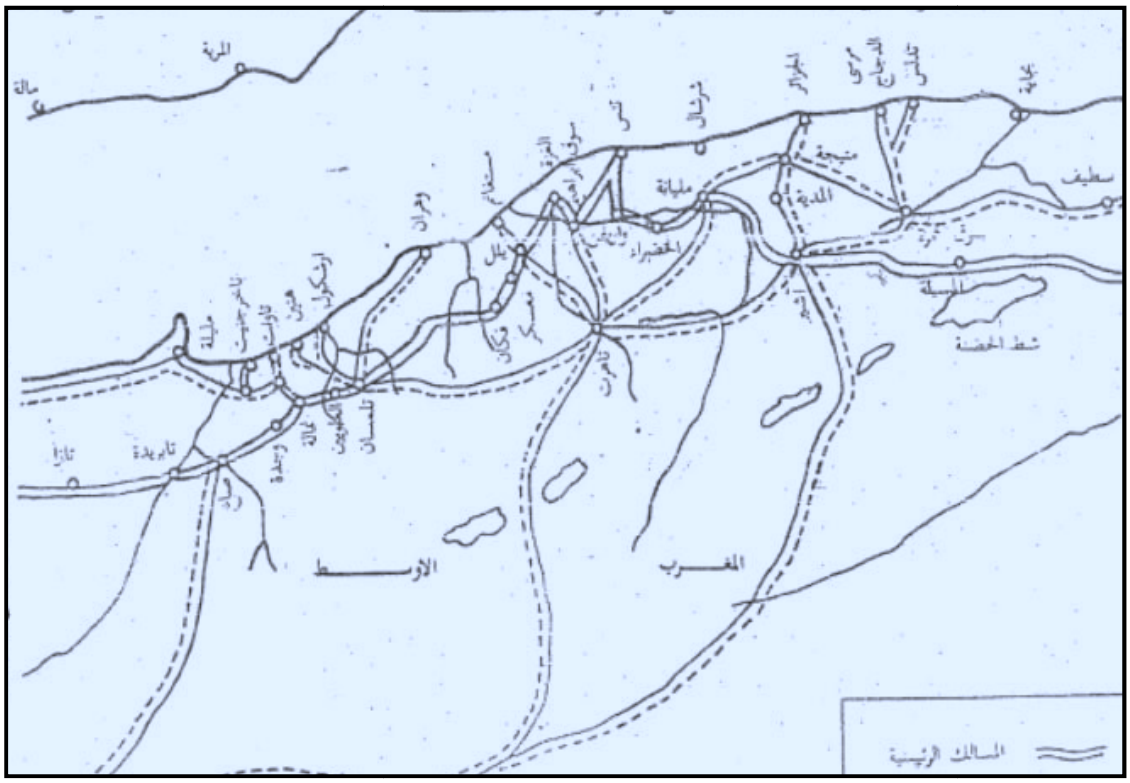
1 - www. Encysco. Blogspot. Com. 15/03/2015: voir, 23/05/2020-19 : 15.

2 - محمود شاكر، **المرجع السابق**، ص 42.

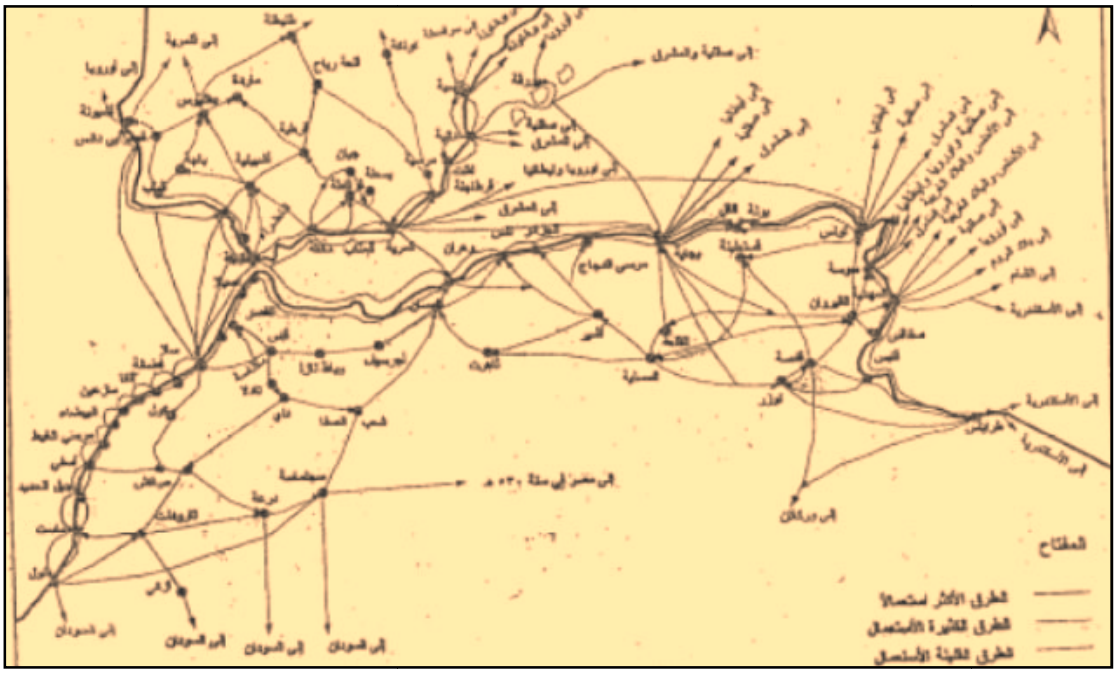
ملحق (03): جدول يمثل سلاطين الدولة الحفصية.[3]

1–أبو محمد عبد الواحد	603– 618هـ/	1207– 1221م
2–أبو زكريا يحي الأول	625– 647هـ/	1228– 1249م
3–أبو عبد الله محمد المستنصر	647– 675هـ/	1249– 1277م
4–أبو زكريا يحي الثاني الواثق	675– 678هـ/	1277–1279م
5–أبو إسحاق إبراهيم الأول	678–681هـ/	1279–1283م
6–الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة	681–683هـ/	1283–1284م
7–أبو حفص	683–694هـ/	1284–1295م
8–أبو عبد الله محمد أبو عصيدة	694–709هـ/	1295–1309م
9–أبو يحي أبو بكر الشهيد	10ربيعالآخر709هـ	1309 م
10–أبو البقاء خالد الأول	709–711هـ/	1309–1311م
11–أبو يحي زكريا الأول بن اللحياني	711–717هـ/	1311–1317م
12–أبو عبد الله محمد أبو ضربة	717–718هـ/	1317–1318م
13–أبو بكر	718–747هـ/	1318–1346م
14–أبو حفص عمر (للمرة الأولى)	747هـ/	1346م
15–أبو العباس أحمد	747هـ/	1347م
16–أبو حفص عمر (للمرة الثانية)	748هـ/	1347م
17–استيلاء أبي الحسن المريني على إفريقية	748 – 750هـ/	1347 / 1350
18–أبو العباس أحمد الفضل	750–751هـ/	1350–1351م
19–أبو إسحاق إبراهيم الثاني	750–770هـ/	1350–1369م
20–أبو البقاء خالد الثاني	770–772هـ/	1369–1370م
21–أبو العباس أحمد	772–796هـ/	1370–1394م
22–أبو فارس عبد العزيز	796–837هـ/	1394–1434م
23–أبو عبد الله محمد السادس المنتصر	837–839هـ/	1434–1435م
24–أبو عمرو عثمان	839–894هـ/	1435–1488م
25–أبو زكريا يحي الثالث	894–895هـ/	1488–1489م
26–عبد المؤمن	895هـ/	1489م
27–أبو يحي زكريا الثاني	895–899هـ/	1489–1494م
28–أبو عبد الله محمد الخامس	899–932هـ/	1494–1526م[1]
		1526م[1]

3 - ابن الشماع ابو عبد الله، **المصدر السابق**، ص 139-140.



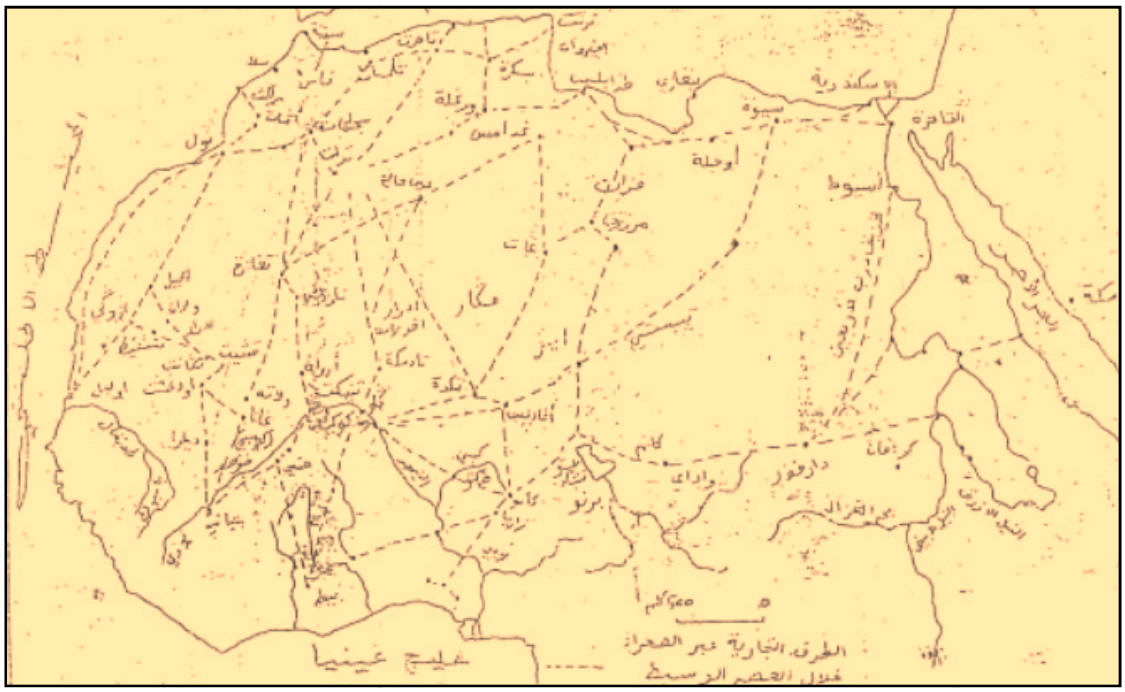
ملحق (04) خريطة طرق ومسالك المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط. (القرن الرابع هجري).[4]



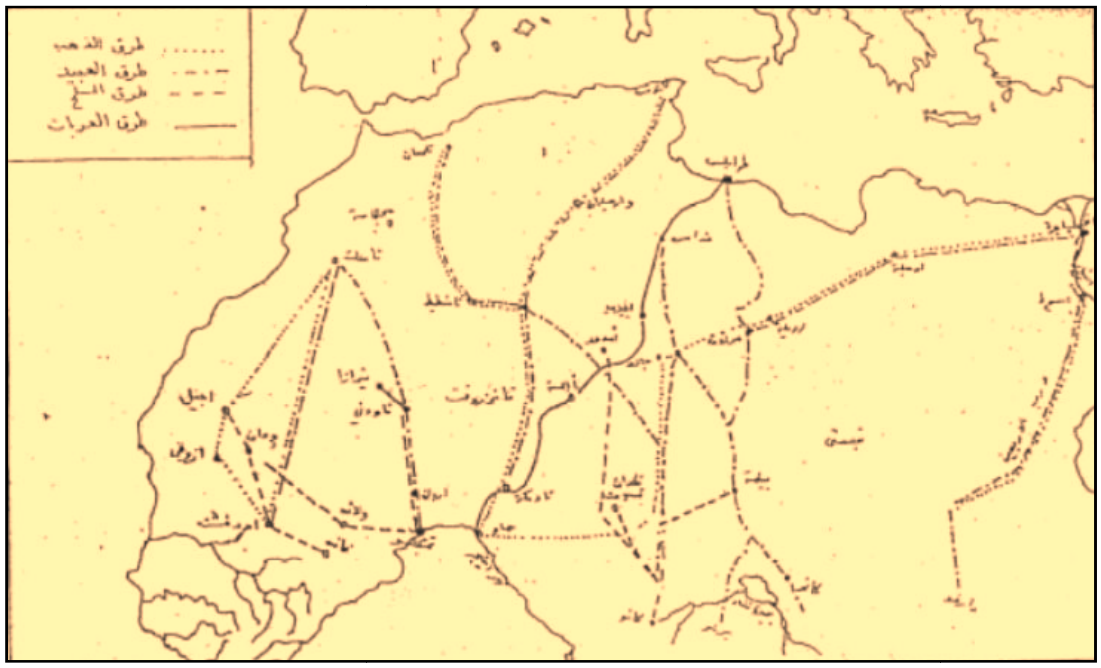
ملحق (05): خريطة الطرق التجارية الأكثر استعمالا في المغرب الإسلامي (القرن 06 هجري).[5]

4 - عبد الحميد حاجيات، **المسالك والدروب بالمغرب الأوسط، ودورها الحضاري خلال العصر الاسلامي**، المجلة العربية للثقافة الاسكو، عدد 05، سبتمبر، تونس، 1983، ص 103.

5 - عمر عز الدين موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2013، ص 309.



ملحق (06): خريطة الطرق التجارية نحو الصحراء الإفريقية خلال العصر الوسيط.[6]



ملحق (07): خريطة الطرق التجارية عبر التاريخ بالصحراء الإفريقية.[7]

6 - مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 377.

7 - المرجع نفسه، ص 375.



ملحق (08): صورة تمثل الشيخ محمد أمين الكانمي.[8]



ملحق (09): صورة تمثل مقاتل في جيش الشيخ الكانمي.[9]

8 - فيج جي دى، المرجع السابق، ص 665.

9 - المرجع نفسه، ص 665.

ببليوغرافيا

1- المصادر:

1. إبراهيم محمد الأصطخري، مسالك الممالك، دار صادر ، بيروت، د ت.
2. ابن أبي زرع، الذخيرة السنة في تاريخ الدولة الدينية، تح: عبد الوهاب منصور، المكتبة الملكية، 1972.
3. ابن الشماع أبو عبد الله محمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، 1404 هـ /1984.
4. ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1992.
5. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959.
6. ابن سعيد، حوليات إسلامية، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.
7. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في قسم الموحدين، تح: إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
8. أبو الحسن علي بن موسى بن السعيد المغربي، الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للنشر، د ت،
9. البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دي سلان، الجزائر ، 1857.
10. البندق، المقتبس من كتاب الأنساب،تحقيق، ليفي بروفسال، باريس، 1928.
11. زكريا بن محمد القزوني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
12. السعيدي عبد الرحمان بن عبد الله، ت 1066هـ، تاريخ السودان، نشر هوداس، باريس، 1998.
13. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة بريل، لبنان، 1863.
14. شهاب الدين بن يحي بن فضل الله العمري، مسالك الأبهار، ط1، تح: أحمد حمزة عباس، المجتمع الثقافي، أبو ظبي الإمارات العربية، 2002.
15. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: سعيد العريان، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1963.
16. القلقشندي أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، تع: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
17. محمد بن أبي بكر البرتلي، فتح الشكور في تراجم علماء التكرور، تح: الهادي المبروك، دار الكتبن بنغازي، 2002.
18. محمد بن صالح القيرواني، تكميل الصلحاء، ولأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1970.
19. محمد بن عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الشرق، بيروت، د.ت.
20. محمد بن عبد المنعم الحمري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984،
21. محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى وادي، تح: عبد الباقي كبير، شركة مناكب للنشر، الخرطوم، 2001.
22. محمود الكعنى، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، مطبعة بردين، باريس، 1913.

23. مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء، 1979.

24. الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

25. ياقوت أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.

26. اليعقوبي، البلدان، دار الأحياء التراث الإسلامي، بيروت، 1988.

27. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تع: خليل المنصور، دار الكتب، بيروت، 2002.

2- المراجع بالعربية:

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1984.

2. إبراهيم عمر إلياس، دور الحجيج في نشر اللغة العربية والثقافية الإسلامية في مملكة الكانم بورنو، قسم الدراسات العربية الإسلامية، جامعة ميد غري د. ت.

3. أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب السياسي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 2004.

4. أحمد توفيق عباد، التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1970.

5. أحمد مختار العبادي، في التاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافية الجامعة الإسكندرية، 2001.

6. الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن 16م، تجارة القوافل ودروها الحضاري حتى نهاية القرن 19، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

7. أيوب محمد صالح، الدور الاجتماعي والسياسي لشيخ عبد الحق الترجي في دار وداي شاد (1853-1917)، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 2001.

8. جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي، ط5، مكتبة العبيكان، الرياض، 1421 هـ.

9. حسن إبراهيم حسن، الإسلام في إفريقيا الوسطى، بغداد، 1981.

10. حسن إبراهيم حسن، إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1963.

11. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني والثقافي، دار الجيل، بيروت، ج 4، ط، 14، 1996.

12. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1963.

13. حسن الطاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991.

14. حسين محمد نبيلة، تاريخ إفريقية الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007.

15. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار المستقبل، القاهرة، 1980.

16. دريد عبد القادر نوي، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء دراسة في خطوات الانتشار والأسباب والوسائل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، مج1، 2007..

17. رياض زاهر، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968.

18. زكي عبد الرحمان، المسلمون في العالم اليوم إفريقية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، 1958.

19. زكي عبد الرحمان، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، 1961.

20. زين خلف نواف، دولة كانم وجهودها في نشر الإسلام في السودان الأوسط، جامعة الأنبار، 2011.

21. سانا صالح عبد الله، مدخل قضايا المسلمين في غرب إفريقيا، القارئ العربي لتوثيق والتأليف والنشر، د ت.

22. شلبي أحمد، التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1990. ج1.

23. الشيخلي صباح إبراهيم وعادل الألوسي، تاريخ الإسلام في إفريقيا وجنوب شرق أسيا، جامعة بغداد، 1987.

24. طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة، 1970.

25. عبد العزيز الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سراس، تونس، 1981.

26. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، حركة المد الإسلامية في غربي إفريقيا، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1980.

27. عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي على عهد الأسقين (1493-1591م)، الجزائر، 1972.

28. عبد اللطيف البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، دار صادر، بيروت، 1971.

29. عبد الواحد ذنون طه، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

30. عصمت عبد اللطيف دنش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ - 513هـ/ 1038م- 1121م، مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988.

31. عمر عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال ق 06 هـ، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2013.

32. محمد العروسي المطوي، السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

33. محمد أمان الجامي، الإسلام في إفريقيا عبر التاريخ، مطابع الجامعية الإسلامية بالمدينة المنورة، د ت.

34. محمد زنيبر، تجارة القوافل في المغرب، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، معهد البحوث العربية، بغداد، 1984.

35. محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر إزدهارها ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968.

36. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية، المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2007.

37. محمد فاضل علي باري، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

38. محمود شاكر، التشاد، ط 1، وزارة المعارف، السعودية، 1972.

39. مؤمن مصطفى، قسمات العالم الإسلامي، دار الفتح، بيروت، 1974.

40. نصر الدين براهامي، سيدي محمد نقادي، تلمسان الذاكرة، منشورات تالة، الجزائر، 2007.

41. نعيم قداح، القيروان عبر العصور، طبع كتابه الدولة لشؤون الثقافية والإرشاد، 1964.

42. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية، 1998.

43. هيكل محمد حسنين، حياة محمد، ط 9، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1965.

44. يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع 16 إلى 20 م، دار هومة، الجزائر، د.ت.

3/- المراجع المترجمة:

1. بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمه ومحمد عزيز ، بنغازي، 1988.

2. جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا، تر: مختار السويفي، دار الكتاب، القاهرة، 1984.

3. فيج جي دى، تاريخ غرب إفريقيا، تر: السيد يوسف، دار المعارف، القاهرة، 1982.

4. لمارمول كربخال، إفريقيا، تر، محمد حجي محمد زبير، دار المعرفة، الرباط ،ج 3، د.ط، 1989.

5. ماد هو بانيكار، الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقية، تر وتع: أحمد فؤاد بلبع، ط2، مجلس الأعلى لثقافة، 1998.

6. هو بكينز، التاريخ الإقتصادي للإفريقيا الغربية، تر: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998.

4/- المراجع بالاجنبية:

Maurice Delafosse, les noires des l'Afrique, édition Payot, paris 1941.

5/- المقالات:

1. أمين الطيبي، أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، 1998.

2. سلفا دور بونو، تجارة طرابلس عبر الصحراء، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات جهاد الليبين، العدد 01، يناير 1981.

3. عبد الحميد حاجيات، المسالك والدروب بالمغرب الأوسط، ودورها الحضاري خلال العصر الإسلامي، المجلة العربية للثقافة الاسكو، عدد 05، سبتمبر، تونس، 1983.

4. علي الخاتم، الإسلام في غرب إفريقيا وأثاره الثقافية، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا، الخرطوم، 1985.

5. عمر عز الدين موسى، إنتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن 16م، مجلة ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1985.

6. كاني. أ.م، مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقيا ووسط السودان، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، السنة الثالثة، العدد 01.

7. ماريون جونسون، تجارة ريش النعام، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات جهاد الليبين، طرابلس، عدد 1 يناير 1981.

8. محي بو عزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، ندوة تجارة القوافل ودورها الحضاري في نهاية ق 19، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.

6/- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. أحمد إلياس حسين، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى في مستهل القرن 16 كما عرضها الجغرافيون العرب، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة القاهرة،1977.

2. بلعربي خيرة، المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010/2009.

3. بوداوية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006.

4. جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621 هـ وحتى سنة 893 هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،1421 هـ/ 2000م.

5. سامية باقل، الشيخ محمد الأمين الكانمي ودوره في مملكة الكانم بورنو خلال ق 19م، مذكرة ماستر في التاريخ، جامعة خميس مليانة، 2017.

6. عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس 626 -981 هـ / 1228-1573م، رسالة ماجستر في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 1412هـ / 1991م.

7. لعربي حجيلة، مملكة الكانم، برنو في عهد السلطان إدريس ألوما (1571 -1604)، دراسة للجانب الاقتصادي، رسالة الماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 02، سنة 2013-2014.

8. هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية، سياسيا وثقافيا، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، الجزائر، 2008.

7/- الموسوعات والقواميس والمعاجم:

1. شلبي أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، 1981-1982، مج 6.

2. الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ط2، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، 1989.

3. نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس، ج 4، دار الأمير، 1995.

فهرس (المحتوى) الموضوعات

- فهرس المحتوى (الموضوعات):

رقم	الموضوع	صفحة
	ورقة الواجهة	
	البسملة.	
	شكر وتقدير.	
	إهداء	
	قائمة المختصرات	01
	مقدمة	06-03
	المبحث الأول	
-/I	لمحة تاريخية وجغرافية عن الدولة الحفصية ومملكة كانم.	-08
-/1.I	تاريخ وجغرافية الدولة الحفصية.	-08
	أ/- الدولة الحفصية تاريخيا.	11-08
	ب/- الدولة الحفصية جغرافيا.	12
-/2.I	تاريخ وجغرافية مملكة الكانم.	-13
	أ/ - مملكة الكانم تاريخيا.	16-13
	ب/- مملكة الكانم جغرافيا.	20-16
-/3.I	أصول العلاقات الحفصية الكانمية وتطوراتها.	25-20
	المبحث الثاني	
-/II	نماذج من العلاقات الحفصية مع مملكة كانم.	53-27
-/1.II	في العلاقات السياسة والدبلوماسية.	30-27
-/2.II	في العلاقات الاقتصادية (المبادلات).	53-31
	أ/- ازدهار تجارة القوافل.	37-31
	ب/- أنواع المبادلات التجارية بين بلاد الدولة الحفصية ودولة الكانم.	41-37
	ت/- أهم مراكز التجارة بين الدولة الحفصية ودولة الكانم.	45-41
-/3.II	في العلاقات العقائدية والثقافية.	53-45
	المبحث الثالث	
-/III	اثر العلاقات الحفصية مع مملكة كانم في القارة الإفريقية	-55
-/1.III	زيادة الروابط الثقافية بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها.	63-55
-/2.III	انتشار الإسلام في إفريقيا بشكل متسارع.	67-64

-/3.III	ظهور القبائل العربية وانتشارها في قلب القارة الإفريقية.	73-68
	خاتمة.	75
	الملاحق	81-77
	ببليوغرافيا	87-83
	فهرس المحتوى (الموضوعات).	88-87